الإمام الخميني (قده)

تفسير آية البسملة

محاضرات معرفية

دار الهادي
بيروت - لبنان

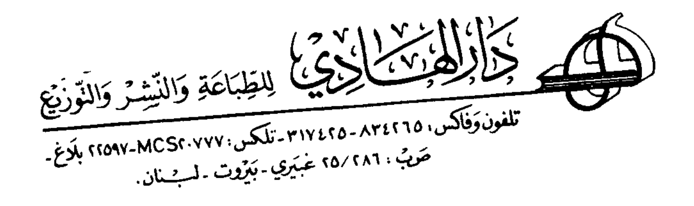


تفسير آية البسملة

محاضرات معرفية

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ-١٩٩٢م

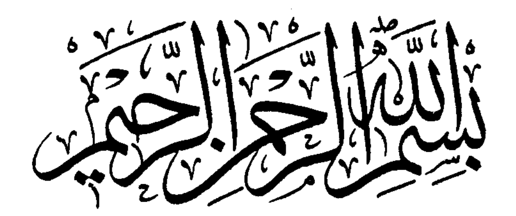


تفسير آية البسملة

محاضرات معرفيّة

الإمام الخميني (قده)

دار الهادي
بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يكون « الخميني المفسر للقرآن » من أبـرز الأبعاد المخفيـة في شخصية الإمام الراحل السيد روح الله الموسوي الخميني ، فقد حجبتهـا عن الأنظار الأبعاد الجهادية في هذا العالم الرباني العارف والقائـد الثائـر والأدوار التأريخية التي تضمنتها شخصية الإمام على صعيد إحياء الإسلام وقيمه المحمدية الخالدة: ولكن هل يمكن إحياء الإسلام دون القرآن ؟! الإجابة واضحة ، وعلى أساسها يتضح أن البعد التفسيري للقـرآن ـ ومن قناة الإمامة المعصومة وهي الثقل الثاني القرين الملازم للقرآن ـ هو البعد الأظهر في شخصية الإمام الخميني ـ قدس سره ـ باعتباره مجدد الإسـلام في تأريخه الحديث .

هـذا هو الإطـار العام وهـذه هي الملامـح العامـة لبعـد « المفسـر للقرآن » في شخصية العارف الخميني ، ولكن هل للإمام الـراحل تـراث تفسيري ومنهج في تفسير القرآن ؟! بالنسبة للشطر الأول من السؤال ، من المعلوم أنه لم تتح للإمام فرصة تصنيف تفسير كامل للقرآن الكريم وينقل أحد تلامذته أنه ـ رضوان الله عليه ـ كان يعتذر عن ذلك بأن الامر يحتـاج

الى تفرغٍ كامل وهذا ما لم يسمح له به دوره التأريخي ومهماته النهضوية والإحيائية .

أما بالنسبة للشطر الثاني من السؤال فالإجابة عليه إيجابية بالكامل ، فللإمام الراحل « متفرقات » تفسيرية متناثرة في مؤلفاته ورسائله ومحاضراته وخطاباته ، بعضها تخصصية بالكامل والبعض الآخر على نحو الإستشهاد ومن مجموع هذه المتفرقات يمكن إكتشاف منهجٍ متكامل في التفسير إلتزم به الإمام في تعامله مع القرآن الكريم ، وحيث لا تتسع هذه المقدمة الموجزة للحديث عن هذا المنهج تفصيلاً نشير هنا الى أبرز خصائصه العامة وهي :

أولاً : إدخاله عنصر الأدعية المروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في فهم المقاصد القرآنية إضافة الى الحديث ، الأمر الذي يعبّر عن عمق فهمه لمقاصد الأدعية المروية عنهم بل إنه يصرح في المحاضرة الخامسة من محاضراته التفسيرية التي نقدم ترجمتها للقارىء العربي بأن الأدعية إنما هي تفسر القرآن .

ثانياً : الميزة الثانية لمنهج الإمام في التفسير القرآني هو إستناده الى عنصر التدبر والإستنطاق لا التحميل في فهم القرآن وفي ذلك إستجابة عملية لنصوصه والنصوص الحديثية الداعية الى التدبر وإعمال العقل في فهم القرآن إضافة الى الإلتزام ـ والتدبر أيضاً ـ بتفسيرات الذي يسر القرآن بلسانه والمتعلمين من نبعه الإلهي الصافي ، وهذه الميزة تجعل المنهج الخميني في التفسير منهجاً إبداعياً مستزيداً في إستنطاق القرآن وإكتشاف المزيد من حقائقه التي لا ينزف بحرها .

ثالثاً : وكثمرة للميزة الثانية إمتاز هذا المنهج بتجسيده العملي

لمقتضيات تعدد البطون القرآنية إضافةً الى ظواهرها ، وتتجلى هذه الميزة بوضوح في تفسيره - رحمه الله - لآيات من سورة الحشر ضمن رسالةٍ تربوية لنجله السيد أحمد ، حيث يطرح لتفسيرها عدة بطون تمتد طولياً - ولا تتقاطع - على مراتب .

رابعاً: والميزة الرابعة هي تأكيده على الجانب الإحتمالي لآرائه التفسيرية ، وهذه الميزة إضافةً الى مبرراتها الشرعية لها أثرٌ إيجابي غاية في الأهمية في الإعانة على فهم البطون الأخرى للظواهر القرآنية ، إذْ أن للجزم في طرح تفسير ما آثاراً سلبية في تجميد الذهن عليه وإغلاق أبواب التدبر ولو لا شعورياً ، كما أن هذه الميزة تجعل لهذا المنهج تحقيقاً علمياً بعيداً عن تحميل الآراء على المنطوق القرآني .

خامساً: ويمتاز المنهج التفسيري للإمام بطابعٍ عرفاني واضح لكنه لا يغفل آراء وأقوال غير العرفاء وإستنطاقاتهم للآيات الكريمة وهذا الأمر يجعل المنهج الخميني في التفسير شمولياً يستوعب كافة الإلتفاتات ، وهذا الطابع العرفاني هو عملي بالدرجة الأولى وليس علمياً محضاً ، من هنا نلاحظ إمتياز التفسير الخميني بأنه تربوي يهتم بالمطالب التربوية المؤثرة على الجانب العلمي وفي ذلك تجسيد لكونه هدى للعالمين .

وجميع هذه المميزات يمكن للقارىء أن يلاحظها في هذه المحاضرات المعرفية في تفسير البسملة من سورة الحمد والتي نقدم ترجمتها العربية ، وهي خمسة دروس كان الإمام الراحل قد أفاض بها بعيد إنتصار الثورة الإسلامية (خلال شهر صفر عام ١٤٠٠ للهجرة) ، وقد بثت عبر جهاز التلفزة الإيرانية في التأريخ المذكور ، وقد سعى الإمام بحكم ذلك الى تبسيطها بما يتناسب مع عموميتها وكان ينوي مواصلتها إسبوعياً

كما يصرح بذلك في الدروس ولكن ـ مع الأسف ـ فقد حال دون إستمرار فيوضاتها المباركة توعك صحة الإمام وعوامل أخرى غفر الله لمسببيها الذين أوجدوا عقبات بوجه إنتشار المعارف الاسلامية من خلال مساهمتهم في الحيلولة دون إستمرار هذه المحاضرات المعرفية القيمة .

ملاحظة أخيرة نود الإشارة إليها هنا في المقدمة الموجزة ، وهي أننا حرصنا في هذه الترجمة على المحافظة على أسلوب المخاطبة المباشرة فيها بمعنى إبقاء حالة المحاضرة فيها ، آملين أن يفتح القارىء قلبه لهذا الخطاب المعنوي لينتفع من ثماره المباركة ، رزق الله صاحبها زيادة الدرجات العلى ورزقنا شفاعته وشفاعة أجداده الكرام إنه ولي التوفيق .

٢٠/جمادى الأخرى/١٤١٢

عرفان محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

وردت طلباتٌ أن أتحدث في تفسير بعض الآيات القرآنية الشريفة ، في حين أن تفسير القرآن ليس من المهمات التي يستطيعُ أمثالنا أداء حقها ، بل إنّ علماء الطراز الأول ـ من العامة والخاصة ـ صنفوا ـ طول التأريخ الإسلامي ـ كتباً كثيرة في هذا الباب ومساعيهم مشكورة بلا شك ، ولكنّ كلٌّ منهم لم يقم بأكثر من كشفِ أحد أغطية القرآن الكريم وفقاً لتخصصه ، وحتى في هذا الحدّ ما من يقينٍ أن التفسير جاء كاملاً .

فمثلاً عمد العرفاء على مدى قرونٍ عدة الى كتابة تفاسير عديدة وفق طريقتهم وهي الطريقة المعرفية ، أمثال محيي الدين (إبن عربي) في بعض كتبه وعبد الرزاق الكاشاني في تأويلاته والملا سلطان علي في تفسيره وبعضهم أجاد التصنيف وفق هذا الفن ولكن القرآن لا ينحصر فيما صنفوا فما قاموا به هو إزاحة بعض الحجب عن القرآن الكريم وقراءة بعض أوراقه .

كما قام الطنطاوي وأمثاله وكذلك السيد قطب بتفسير القرآن بطريقةٍ

أخرى هي أيضاً ليست تفسيراً للقرآن بكافة معانيه ، فهم أيضاً كشفوا غطاءً واحداً آخراً عنه .

وللكثير من سائر المفسرين ـ من غير هاتين الطائفتين ـ تفاسير كتفسير « مجمع البيان » وهو تفسير جيد جامع بين أقوال العامة والخاصة ؛ وحال هذه التفاسير كحال سابقاتها ، فالقرآن ليس ذاك الكتاب الذي نستطيعُ نحن أو غيرنا تصنيف تفسير جامعٍ له يحوي كافة علومه كما هي ؛ ففيه علومٌ هي فوق ما نفهم نحن ؛ نحن نفهم ظاهراً منه ونفسر غطاءً منه والباقي يحتاج الى تفسير أهل العصمة وهم المُعَلَّمون بتعليمات رسول الله .

* التفسير بالأهواء

وقد ظهر في الآونةِ الاخيرة أشخاصٌ ليس من أهل التفسير أصلاً أرادوا تحميل ما لديهم من أفكار على القرآن والسنة حتى أنّ فئةً من اليساريين والشيوعيين عمدت الى التستر بالقرآن أيضاً لعرض بضائعهم ؛ وهؤلاء لا علاقة لهم أصلاً بالتفسير ولا بالقرآن فما يريدونه هو خداع شبابنا بما يقدمونه لهم على أنه هو الاسلام .

وعلى هذا فما أُريد التنبيه إليه هو أنه لا ينبغي للذين لم يصلوا بعد الى المستويات العالية من النضوج العلمي أن يدخلوا مضمار التفسير ؛ فلا ينبغي للشباب غير المطلع على المعارف الإسلامية إقتحام ميدان تفسير القرآن ؛ وإذا حدث أن تطفل أمثال هؤلاء لغاياتٍ وأهدافٍ ما على ميدان التفسير ، فلا ينبغي لشبابنا أن يولوا أهمية أو يقيموا وزناً لمثل هذه التفاسير ؛ فقد ورد في الإسلام نهيٌ صريحٌ عن « التفسير بالرأي »[1] ، كأن

(١) « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » حديث نبوي مشهور راجع كتاب =

يعمد أيٌ كان الى تلبيس آرائهِ على القرآن فيطبّق المادي أفكاره على بعض الآيات القرآنية فيُفسر القرآن وفق رأيه؛ أو أن يعمد أحد أصحاب الآراء المعنوية والروحية الى تأويل كل ما في القرآن الكريم ويرجعه الى ما يعتقده هو .

إن اللازم هو أن نجتنب كل ذلك فأيدينا ليست مطلقة العنان في هذا المضمار والباب ليس مفتوحاً على مصراعيه لكي يعمد الإنسان الى تحميل كل ما يصله عقله على القرآن فيقول هذا ما يقوله القرآن .

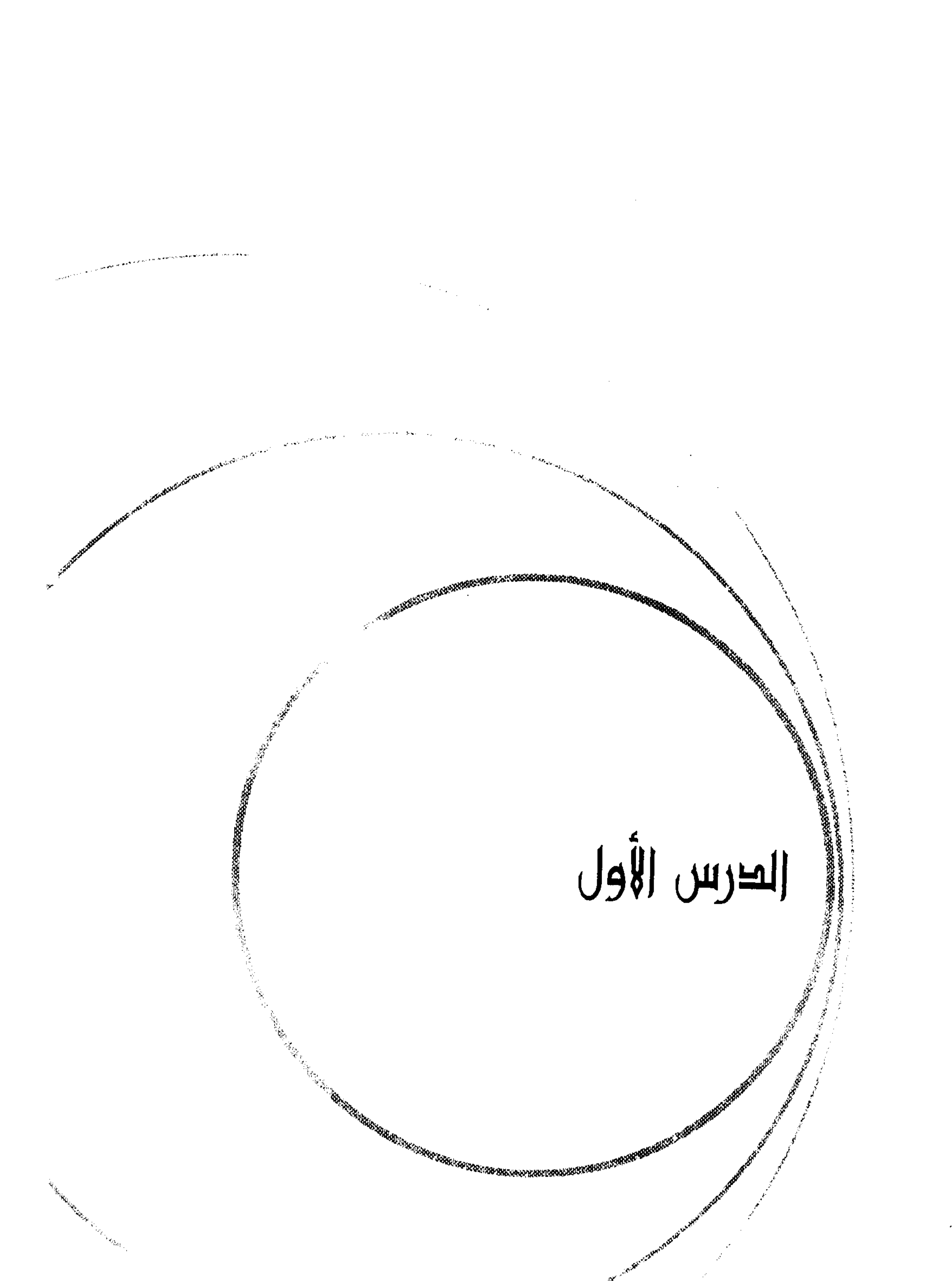
* تفسيراتنا هي على نحو الإحتمال

وحيث أني أتحدث ببعض الكلمات حول بعضٍ من آيات القرآن الكريم فلا أدعي أن ما أقوله هو المراد والمقصود فيها؛ فما أقوله هو على نحو الإحتمال لا الجزم ولن أقولَ بأن المراد هو هذا لا غير .

وإستجابةً لما طلبه بعض السادة من أحاديث في هذا الباب قررتُ أن أتناول كل عدةِ أيامٍ مرة ـ كأنه يكون في الإسبوع مرة ـ وضمن وقتٍ محدود السورة الأولى في القرآن وإحدى السور الأواخر وأتحدث عنها بصورةٍ مختصرة إذْ لا يتسنى التفصيل لا لي ولا للآخرين وأُكرر القول بأنّ هذا التفسير ليس على نحو الجزم وليس أنه هو المراد لا غير؛ إذْ أنّ مثل ذلك هو من التفسير بالرأي؛ فما نعرضه هو ما يصله نظرنا وما نفهمه فنقوله على نحو الإحتمال .

= القرآن في الإسلام للعلامة الطباطبائي ص٨٢ طبعة منظمة الاعلام الاسلامي وكتاب التعرف على القرآن للشهيد المطهري ص٢٥ طبعة وزارة الإرشاد في الجمهورية الإسلامية ، والحديث المذكور يرويه الشيخ الصدوق عن النبي الاكرم (ص) في الغنية وأخرجه الترمذي في صحيحه ج١١ ص٦٧ .





الدرس الأول



أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين . . . . .

يُحتمـلُ أن تكون « البسملة » في جميـع السـور القـرآنيـة مـرتبـطة بالآياتِ التي تليها؛ ولقد قيل أن البسملة متعلقة بمعنى مقدر واحد ولكنّ الأقرب هو أن كل بسملة مرتبطة بنفس السورة ـ التي تفتتحها ـ ؛ فمثلاً في « الحمـد »؛ ترتبط البسملة بمـا بعدهـا؛ فباسم الله تبـارك وتعالى يكـون الحمد له .

والإسم علامة ؛ وهو للتعريف؛ ويُوضع لكل شخصٍ أو لكل شيءٍ إسمٌ لكي يكون علامة ومعرفاً له ، فعندما يُقال « زيد » يعرف الإنسان من هو المقصود بذلك .

*** أسماء الله علائم ذاته[1]**

وأسماء الله هي أيضاً علائم ذاته المقدسة؛ وأسماءُ الحق تعالى هي

---

(١) بحث الإمام هذا الموضوع بصورة اكثر تفصيلاً في كتابيه مصباح الهداية وشـرح دعاء السحر وكلاهما بالعربية .

التي يمكن للإنسان التعرف على ذاته المقدسة من خلالها ـ ولو بصورةٍ ناقصة ـ أما نفس الذات المقدسة للحق تعالى فلا يصلها إنسان حتى خاتم الأنبياء وهو أعلم وأشرف بني آدم فهو لا يستطيع الوصول الى مرتبة الذات تلك إذْ لا يعرفها سوى ذاته المقدسة؛ أمَّا ما يمكن لبني الإنسان الوصول إليه فهو أسماء الله[1]؛ ولهذه الأسماء أيضاً مراتب نستطيعُ نحنُ أن ندرك بعضها فيما ينحصر إدراك البعض الآخر بأولياء الله والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأولئك المُعَلمين بتعليمه .

* العالم كافة إسم الله

والعالم أجمع هو إسم الله ، فالإسم هو العلامة ، وجميع الموجودات في العالم هي علائم على ذات الحق تعالى المقدسة؛ وغاية الأمر أن البعض يستطيع الوصول الى عمق كونها علامة فيعرف كيف أنها علامة والبعض الآخر يفهم الأمر على نحو الإجمال وذلك من خلال مقولة أن الموجود لا يحصل على الوجود من تلقاء نفسه ، وهذه حقيقة واضحة يستطيع إدراكها عقلُ أي إنسان بالفطرة ويفهم أن الموجود الذي يمكن وجوده ويمكن عدمه مثل هذا الوجود الإمكاني لا يمكن أن يُوجد بذاته فهذا الممكن يجب أن ينتهي الى وجود موجود بالذات أي الموجود الذي لا يمكن سلب الوجود منه وهو الأزلي الذي يستحيل سلب الوجود منه وسائر الموجودات الأخرى ممكنة الوجود والعدم وهذه لا تكتسب الوجود بذاتها فهي محتاجة الى مَنْ يُوجدها وهو خارجٌ عنها .

---

(١) راجع في هذا المجال كتاب « التوحيد العلمي والعيني » الذي يضم مراسلات آيات الله محمد حسين الكمپاني والسيد أحمد الكربلائي وتذييلات العلامة الطباطبائي وتلميذه محمد حسين الطهراني عليها .

لـو فرضنـا هذا الفضـاء الوهمي الـذي ليس بشيءٍ وليس لـه واقـع خارجي أنه فضاءٌ أزلي فلا يمكن أن يتبدل الى شيءٍ موجـود بنفسه أو أن يظهر فيه موجودٌ دون مُوجد .

وقول أولئك الذين يقولون بأنه كان في الدنيا مُنـذ الأزل فضاءً غيـرُ متناهٍ (والإشكال في الـلامتناهي يبقى قـائماً) ، ثم ظهـر بعد ذلـك هواءٌ وبخـار ومن هذا المـوجود « البخـار الذي في الفضـاء » وُجد شيءُ آخـر وهكذا؛ مثل هذا القول يخـالف الضرورة العقليـة التي تنفي تحول شيءٍ الى شيءٍ آخر بذاته ودون تدخل علةٍ خارجية؛ فكل شيء يتبدل الى شيءٍ آخر يحتاج الى علةٍ خارجية وبدونها محالٌ أن يتبدل؛ فالماء مثـلاً يحتاج الى علةٍ خارجية ليصبح ثلجاً منجمداً أو ليصبح ماءً مغليّاً وبدون هذه العلة الخارجية يبقى الى الأبد ماءً لا تصبح درجته تحت الصفر ولا فوقـه؛ فهو محتـاجٌ الى علةٍ خارجيـة وشيءٍ خارجي حتى لا يتعفن؛ وهـذا تـوضيـحٌ إجمالي لإحتياج كل معلولٍ الى علة وإفتقار كل ممكنٍ الى علة .

هـذه هي من البديهيـات العقلية فكـل مَنْ يتصورهـا ويتـأمـل فيهـا يصدقها يصدق بأن الشيء الـذي يمكن أن يكون أو لا يكـون . محالٌ أو يُوجد أو ينعدم بذاته؛ فلا يمكنـه الإستغناء عن العلة فمـا مِن شيءٍ ينتقل بـذاتـه من العـدم الى الـوجـود بـدون علة؛ وهـذا « الامتنـاع » هــو من الضروريات العقلية .

* الموجودات آيات الله

وما تقدم هو إيضاحُ إجمالي لقضية أنّ جميع موجـودات العالـم هـو « أسماء الله » وآيات الله؛ ويمكن لكافة العقول إدراك هذه الحقيقة ومعرفة أن كلّ العالم أسماء الله .

وأما المعنى الحقيقي للمطلب فليس فيه قضية التسمية؛ كأن نفرض أننا نريدُ أن نوصل لأحد معنى شيءٍ ما كالمصباح مثلاً؛ عندها نطلقُ عليه إسماً ونقول « مصباح » أو « سيارة » أو « زيـد »؛ وهذه حقيقـة واقعية عن موجودٍ غير متناهٍ في جميع أوصاف الكمال ، والموجود غير المتنـاهي في جميع أوصاف الكمال هو مـوجودٌ لا حـدَّ له وهـذا الموجـود ليسَ ممكن الوجود .

* المحدود ممكن الوجود .

فلو كان الموجود محدوداً فهو « الممكن »؛ أما الموجود الذي ليس له حدُّ في موجوديته أصلاً فيجب بالضرورة العقلية أن يكون حاوياً لجميع الكمالات ، لأن فقدانه لأي كمالٍ يجعله محدوداً ولو أصبح محدوداً فهو « ممكن » وهذا هو الفرق بين « الممكن » و « الواجب » ، فالواجب غيـر متناهٍ في كل شيءٍ وهو الموجود المطلق؛ أمـا الموجـودات الممكنة فهي موجودات محدودة .

وما لم تكن جميع أوصاف الكمال موجودة في الواجب بصورةٍ غير متناهيةٍ ولا محدودة فإنه يكون « ممكناً » أي أنّ ما تصورناه « واجباً » ما هو بـ « واجب الوجود » ، بل ممكناً .

ومثل هذا الموجود « الواجب الوجود » هو مبـدأُ الإيجاد والـوجود؛ وجميع الموجودات التي تظهر من « مبدأيته » تكون مستجمعةً لنفس تلك الأوصاف ولكن على نحو النقص؛ وغاية الأمـر أنّ لها مـراتب؛ والمرتبـة الأعلى هي المستجمعة لكافة أوصاف الحق تعالى بالقدر الممكن أن يكون في موجود واجد لذاك « الإسم الأعظم » .

* ما هو الإسم الأعظم ؟

الإسم الأعظم[1] عبارة عن ذلك الإسم وتلك العلامة الحاوية لجميع كمالات الحق تعالى على نحو النقص ـ أي النقص الإمكاني ـ ، فهو واجد لكافةِ الكمالاتِ الإلهية نسبةً الى سائر الموجودات على نحو الكمال؛ هذا هو الإسم .

والموجودات التي تأتي بعد هذا « الإسم الأعظم » ، واجدةً لنفس الكمالات ولكن بمقدار سعتها الوجودية ، حتى نصل الى هذه الموجودات المادية التي نتصور عدم وجود العلم فيها ولا القدرة ولا أيٍّ من الكمالات في حين أن الأمر ليس كذلك .

* كلٌّ يسبّح بحمده .

نحن في حجابٍ فلا نستطيع الإدراك؛ إذْ أنّ هذه الموجودات السفلية الأدنى من الإنسان والحيوان ، هذه الموجودات الناقصة تنعكس فيها جميعُ تلك الكمالات ، غاية الأمر أن هذا الإنعكاس هو بمقدار سعتها الوجودية؛ فلديها إدراك أيضاً ، نفس الإدراك الموجود في الانسان موجود فيها ايضاً: ـ ﴿ **وإن من شيءٍ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾[2] نحن محجوبون فلا نفهم تسبيح الموجودات؛ وأولئك الذين لا يعلمون أن من الممكن أن يكون هناك إدراك لموجودٍ ناقص ، يفسرون هذا التسبيح بأنه التسبيح التكويني في حين أنّ ما تقوله الآية هو

---

(١) للإمام الخميني بحث معمق حول الإسم الأعظم وأقسامه تجده في شرحه لدعاء السحر ص٨٥ ـ ٩٨ .

(٢) سورة الإسراء الآية٤٤ .

غير التسبيح التكويني الذي نعرفه ونعرف أنه ليس تسبيحها بمعنى أنها موجودات ولها علة ، كلا الأمر ليس كذلك ، بل إنها تسبح ؛ وقد ذكرت الأحاديث تسبيح بعض الموجودات وما هو ؟!(1) .

في قصة تسبيح تلك الحصاة الصغيرة في يد رسول الله صلى الله عليه وآله(2) ما هو الذي سمعوه ؟! إنه تسبيحٌ تعتبرُ أجنبية عنه أذني وأذنك ، إنه نطقٌ وكلام ولغة ولكن لغته ليست لغتنا ونطقه ليس نطقنا ولكنه إدراك ، إدراك بمقدار السعة الوجودية للحصاة .

ولعل بعض المراتب العالية ولكونها ترى نفسها مصدر كافةِ الإدراكات تقول إن الموجودات الأخرى ليس لديها هذه الإدراكات ـ وبالطبع فإن ليس لها إدراكات تلك المرتبة ـ ، ونحنُ أيضاً ولكوننا لا ندرك حقائق هذه الموجودات ، فنحن محجوبون عنها لذلك فلسنا مطلعين ولكوننا لسنا مطلعين نتصور عدم الكثير من الأشياء .

---

(1) أورد الشيخ المفيد في كتاب « الإختصاص » عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : ـ « ما من طير يصاد إلا بتركه التسبيح . . . » ص٢٥ من طبعة وزارة الإرشاد في الجمهورية الإسلامية .

(2) أفرد العلامة ابي جعفر رشيد الدين محمد بن شهرآشوب (متوفى سنة ٥٨٨ هـ) فصلاً خاصاً في نطق الموجودات في كتابه الشهير (مناقب آل أبي طالب) ص٩٠ ـ ص١٠٢ ضمن حديثه المفصل عن مناقب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وأورد فيه قصة تسبيح الحصاة في يد الرسول الأكرم ضمن روايات أخرى عديدة في هذا المجال ، يقول رحمه الله : ـ « . . . وأتاه مكرز العامري وسأله آية فدعا (ص) تسع حصيات فسبحن في يده ، وفي حديث فوضعهن على الأرض فلم يسبحن وسكتن ثم عاد وأخذهن فسبحن . . . » المناقب ص٩٠ طبعة قم ايران .

* المجاهيل الكثيرة

كثيرةٌ هي الاشياء التي يتصورها الإنسان معدومة لكنها موجودة؛ أنا وأنت أجانب عنها .

الآن يقولون أن هناك مجهولات إتضحت ، فمثلاً النباتات التي كان الجميع فيما مضى يقولون بأنها صامتة؛ يقولون الآن بأنه يمكن سماع ضجيج ـ بواسطة أجهزة وهوائيات خاصة ـ ينطلق من جذور الشجرة التي تُوضع في ماءٍ مغلي؛ أنا لا أعلم هل هذا صحيح أم كذب ؟! ولكنّ العالم مليءٌ بالضجيج وجميع ما فيه حيّ وجميعها إسم الله أيضاً ، كلُ شيءٍ هو إسم الله؛ أنتم أنفسكم أسماء الله ، ألسنتكم أسماء الله أيضاً وكذلك أيديكم .

* الحركة بسم الله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ عندما تحمدون الله فهنا إسم الله أيضاً؛ عندما تتحرك ألسنتكم فهنا إسم الله ، وعندما تقومون وتذهبون الى منازلكم فبإسمِ الله أيضاً تفعلون ذلك ، لا يمكنكم عزل إسم الله ، فأنتم أنفسكم أسماء الله؛ ونبضاتُ قلوبكم إسم الله؛ النسمات المتحركة هي إسم الله . وانطلاقاً من هٰذا ، فلعل ما تريد قوله الآية الكريمة هو هذا المعنى ، وهو واردٌ في الكثير الآيات الأخرى ، حيث يكون بإسمِ الله كذا وكذا ، فكل شيء إسم الله يعني الحق وأسماء الله ، فكل شيءٍ هو ، فالإسم فانٍ في المسمى ، نحن نتوهم أننا مستقلون وأننا « شيء » وما نحن بشيء ، فلو إنقطع لحظة شعاع الوجود ، ذاك الذي تكون الموجودات موجودةً به وبتلك الإرادة وذلك التجلي ، لو إنقطع لحظة لعادت جميع الموجودات الى « اللاشيئية » ولخرجت من الحالة الوجودية

الى حالتها الأولى ، إذْ أنّ إستمرارية الموجودية أيضاً هي قائمة بنفس هذا التجلي ؛ وبتجلي الحق تعالى وُجد عالم الوجود كافة ، وذاك التجلي والنور هو أصل حقيقة الوجود ، وهو إسم الله : ـ ﴿ **الله نور السمٰوات والارض** ﴾[1] ؛ أي أنها تجلي الله ، يعني النور ، فكلُ شيء له تحقيق إنما هو ظهور ذلك النور ، نحن نسمي هذا نوراً لأنّ له ظهور؛ والإنسان ظاهر فهو النور ؛ وكذلك الأمر مع الحيوانات فهي نورٌ أيضاً ، وجميعها نورُ الله : ـ ﴿ **الله نور السمٰوات والأرض** ﴾ ، ويعني أن وجود السمٰوات والأرض ـ وهو عبارة عن نور ـ هو من الله ؛ وهو فانٍ الى درجةِ أن﴿ **الله نور السموات** ﴾ وليس أنّ « بالله تتنور السموات » لأن هذه الصيغة تشيرُ الى نمطٍ من الإستقلالية : أما﴿ **الله نور السمٰوات والأرض** ﴾؛ فهي تعني أنها ـ السمٰوات والارض ـ جميعاً لا شيء؛ فليس لدينا في العالم موجود له نحو من الإستقلال .

إن معنى الاستقلال هو الخروج من حدِّ الإمكان الى حدِّ الوجوب في حين لا موجود غير الحق تعالى ؛ ولذا يقول عز وجل : ـ ﴿ **بسم الله الحمد لله** ﴾ أو ﴿ **بسم الله . . . قل هو الله أحد** ﴾؛ فبإسم الله قُلْ إذْ أن المراد هو ـ إحتمالاً ـ أن قُلْ بسم الله الرحمن الرحيم أنّ هذه الحقيقة هي هذه الصورة أي بمعنى ليكن قولك بسم الله : ـ ﴿ **يسبح لله ما في السمٰوات والأرض** ﴾[2] وليس « مَنْ في السماوات والأرض » .

كل ما في الأرض والسماء يسبح لهذا الموجود وبإسم الله وهو تجليه تعالى وبهذا التجلي تتحقق جميع الموجودات وكافة الحركات هي من نفس التجلي .

---

(١) سورة النور الآية٣٥ .

(٢) سورة الجمعة الآية١ .

* الكل من تجلياته

كل ما يحدث في العالم هو من هذا التجلي؛ ولأن جميع الأشياء والأمر منه وإليه ترجع؛ لذا فليس لأي موجود شيءٌ من ذاته، بل ليست هناك « ذاته » في الامر.

ذاك الذي يقف في مقابل « مبدأ النور »، ويقول أنا أيضاً لدي شيءٍ؛ هذا يعني أنه يقول: أن هذا الوجود من عندي، في حين أن نفس « عندي » هذه هي ليست من عندك . . والعين التي لديك هي ليست من عندك، فهي وُجدت بتجليه تعالى.

كل « حَمْدٍ » وثناءٍ يصدر عنا وعنهم إنما يكون بإسم الله؛ بسبب إسم الله؛ ولهذا أيضاً قوله بإسم « الله ».

* « الله »: التجلي الجامع.

« الله » هو التجلي الجامع؛ تجلي من الحق تعالى الجامع لكافةِ التجليات؛ ومن هذا التجلي تكون تجليات « الرحمن » و « الرحيم » «الله » تجلي الحق تعالى، والرحمن والرحيم هي من تجليات هذا التجلي.

« الرحمن » أوجد بالرحمةِ والرحمانية كافة الموجودات؛ وهذه الرحمة هي أصل وجود الرحمة؛ وحتى ذاك الوجود الذي أُعطي للموجودات الشريرة هو أيضاً رحمة، الرحمة الواسعة التي وسعت كل الموجودات يعني أنّ جميع الموجودات هي عين الرحمة؛ جميعها رحمة، و« الله » هو بإسم الله هو هذا التجلي الذي هو تجلي بالمعنى التام.

المقام الذي يستطيعُ إظهار التجلي بالمعنى التام هو هذا الإسم

الجامع ، إسمٌ هو أيضاً تجلي نفس ذات الحق تعالى ، إسم أيضاً ، و« لا إسم لـه ولا رسم » إسمه ، إسمُ « الله » ، وإسم « الرحمن » ، وإسم « الرحيم » جميعها أسماء ، جميعها تجليات ، وبإسم « الله » - وهو الجامع لكافة الكمالات بمرتبة الظهور - وذكر « الرحمن والرحيم » لـه من باب أنه الرحمة والرحمانية والرحيمية ؛ أما أوصاف الغضب والإنتقام فهي تبعية وليس بالذات ، الرحمة هي بالذات ، والرحمانية والرحيمية هي بالذات ، أما تلك الأوصاف فهي تبعيّة .

بسم الله الرحمن الرحيم . . . « الحمد لله » ؛ كل المحامد وكل كمال وكل ثناء يقع في هذا العالم هو له تعالى ، والإنسان يتوهم أنه عندما يتناول طعاماً لذيذاً فيمدحه أنه يثني على هذا الطعام ولكنّ هذا الحمد هو لله تعالى ولا يدري الإنسان ذلك ؛ يمدح إنساناً ما فيقول أي فيلسوف وعالم هو ؟! لكنه إنما يمدح ويحمد ويثني على الله ولا يدري ، لماذا ؟! لأنّ هذا الفيلسوف والعالم ليس لديه شيءٌ من نفسه ، فكل ما هو موجودٌ هو تجليه تعالى ، والذي أدرك عقلياً أنه تجليه تعالى فإنّ نفس هذا الإدراك هو أيضاً وكذلك حال المدرك ، فكل شيء منه تعالى .

الإنسان يتوهم أنه يمدح هذه السجادة أو هذا الشخص لكنه لا حمد ولا ثناء يقع إلّا لله تعالى ؛ لأنكم إنما تمدحون شخصاً لشيء فيه ، فالمدح لا يكون للعدم ؛ وكل شيءٍ هو موجود منه تعالى لذا فكل حمد ومدح وثناء فهو له : « الحمد » يعني كافة المحامد ولله كل ما هو حمد وله تعالى حقيقة الحمد .

نتوهم أننا نمدح ونحمد زيداً أو عمراً أو نور الشمس أو نور القمر ، لكننا في الحقيقة محجوبون ؛ محجوبون عن هذه الحقيقة ؛ لا ندري بها

فهي مستورة عنّا .

نتوهم أننا نمدح ونحمد هذا أو ذاك لكن عندما تُرفع الحجب نرى أنّ جميع المحامد هي له ، وأن نفس حمدنا له هو من تجليه .

﴿ **الله نورُ السمٰوات والارض** ﴾ ، تعني أنّ كل حسن منه وكل الكمالات منه أي من تجلياته؛ تجلى مرةً فأوجد كل العالم؛ نتوهم أننا نقومُ بعمل ما بأنفسنا ولكن : ـ ﴿ **وما رميتَ إذْ رميتَ ولكن الله رمى** ﴾[1] ؛ « رميتَ وما رميتَ »؛ فالرمي هو أيضاً تجلي؛ ومن التجلي الرمي؛ لكن « ما رميتَ » تجلي الرمي ، « إن الله رمى » أولئك الذين بايعوك إنما بايعوا الله؛ وهذه اليد أيضاً تجلي الله ، وغاية الأمر أننا محجوبون فلا نعلم ما الأمر ؟!؛ نحن جميعاً محجوبون إلاّ ذاك المُعَلَم بتعليم الله وأولئك المعلمون بتعليمه .

وإستناداً لما تقدم أقول أنه أصبح واضحاً أنّ من الممكن طرح إحتمال أن يكون « بسم . . » هذا بـ « الحمد » بمعنى أنه بإسمِ الله تكون جميع المحامد له تعالى ، فتجليات الله هي التي تجذب إليها كافة المحامد فلا يكون حمدٌ وثناءٌ لغيره؛ بمعنى أنكم مهما أردتم فلن تستطيعوا أن تحمدوا الغير ، إنكم تحمدون وتمدحون الغير ولكن كل حمدكم وثناءكم يقع لله تعالى ، وكلما تفكرون وتتوهمون أنه « الغير » فمن جهةِ عدم العلم .

وكلما أردتم أن تضغطوا على أنفسكم لتقولوا كلمةً لغير الله لا تستطيعون ذلك إذْ لا كلام لغير الله ، فكل ما تقولونه عنه وما هي بنقائص .

---

(١) سورة الأنفال الآية١٧ .

للموجودات جهتان ، الأولى الجهة الوجودية والأخرى جهة النقص الجهة الوجودية نورٌ وهو لا نقصَ فيه ، فهو منزهٌ عن النقص ، و« اللاءات » ليست منه؛ ولا يمكن مدح « اللاءات » ، فالمدحُ والحمد هو دائماً لـ « نعم » ، أي للوجود والكمال؛ ولا كمال في العالم الا لكمالٍ واحدٍ هو كمال « الله » والجمال هو أيضاً جمال « الله » .

* « التصديق غير الإعتقاد العلمي »

يجب أن نفهم هذه الحقائق؛ أن نعيها بقلوبنا لا بألسنتنا؛ فإدراك هذه الكلمة بالقول أمر يسير ولكنّ إيصالها الى القلب وفهم هذا الموجود الممكن فهمه بحيث يصدقه القلب أمرٌ صعب .

فمرةً يقول الإنسانُ ـ باللسان ـ إن هناك جنةٌ ونار ، وقد يكون معتقداً بذلك ولكنّ التصديق غير الإعتقاد العلمي ؛ قد يحصل على البرهان أيضاً ولكن التصديق شيءٌ آخر .

العصمة الموجودة في الأنبياء هي ثمرة التصديق واليقين؛ فالذي يصدق يقيناً من المستحيل أن يتخلف؛ أنتم عندما تصدقون أن أمامكم شخصاً شاهراً سيفه يقطع به عنق مَن يعصيه ، تصبحون معصومين عن معصيته ، يعني يصبح من المستحيل أن تصدر عنكم معصية له ، لأنكم تحبون أنفسكم فلا يمكن أن تصدر عنكم مخالفة .

الذي يصدق أنّ « كلمة غيبة واحدة » ، يقولها بحقِ شخصٍ في مكة مثلاً ، تؤدي الى ظهور صورته ـ هناك ـ وكأنه يَمدُ لسانه من هنا ويظهر في مكة حيث الشخص الذي إغتابه؛ فتطأ لسانه أقدام الناس من هنا الى هناك ـ أي من محل المستغيب الى محل المغتاب ـ

والذي يصدق أن « الغيبة إدام كلاب النار »[1]؛ أي أنّ الذي يغتاب تبتلعه كلاب النار ليس بالابتلاع المتعارف وينتهي الأمر؛ بل إبتلاع يسحق وجوده ، وعندما يذهب الى هناك أيضاً تبتلعه . . . .

نقول إن الذي يصدق ذلك لا يمكن ايضاً أن يغتاب؛ ونحن عندما نغتاب أحياناً ـ والعياذ بالله ـ فلأننا لم يحصل لدينا التصديق بذلك

* الصور الأخرى للاعمال .

الذي يصدقُ أن جميع الأعمال التي يفعلها هنا لها صورة هناك في العالم الآخر؛ فاذا كانت الأعمال حسنة فصورتها حسنة وإن كانت سيئة فصورتها سيئة[2] .

والذي يصدقُ أن هناك حساب ـ ولو كان على نحو الإجمال فافرضوا

---

(١) روى الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن الإمام السجاد عليه السلام أنه سمع رجلاً يغتاب آخر فقال : ـ « إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار » ص١٧٢ ونحوه مروي عن الإمام علي عليه السلام في كتاب الوسائل ج٢ ص٢٣٨ وكذلك في بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٤٨ .

(٢) يتضمن حديث قصة معراج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الى السمٰوات العلى الكثير من مصاديق الصور الاخرى للأعمال كما أن هناك العديد من الآيات الدالة على ذلك ، راجع الآيات الكريمة : ـ
١ ـ سورة الكهف الآية٤٩
٢ ـ سورة آل عمران الآية٣٠
٣ ـ سورة النجم الآية٤٠
٤ ـ سورة الزلزلة الآية٦ ـ ٨ . . وغيرها
والأحاديث الاخرى كثيرة في هذا الباب .

آن التفصيل ليس لازماً ـ ؛

والذي يصدقُ أنه لو وقع في الغيبة هنا فسيُحاسب عليهـا هناك وانّ هناك جهنم إذا آذى المؤمنين؛ وأن هناك جنة إذا قام بالخيرات والمبـرات هنا؛ الذي يصدق بذلك فسيلتزم إذا كان الأمر تصديقاً وليس مطالعة كتاب وإدراك عقله لــه؛ فهنـاك فــرقٌ بين الإدراك العقلي والتصــديق النفسي والقلبي ـ ولا أقصد هنا القلب الحقيقي ـ

* الإدراك العقلي والتصديق .

في الإدراك العقلي كثيراً ما يحدث أن يدرك الإنسان عقلاً قضيةً ما ولكنه لا يلتزم بمقتضياتها عمليـاً لانه لم يصـدقها فـإذا ما صـدقها عمـل وفقها .

والإيمـان هو عبـارة عن هذا التصـديق؛ العلم بالنبي لا يثمـر هذه الفائدة؛ لكن الإيمان بالنبي يثمر هذه الفائدة .

لا تكفي إقـامة البـرهـان على وجـود الله تبـارك وتعـالى في إيجـاد « الإيمان بالله » ، بل الإيمان يثمره التصديق القلبي الذي يجعل الإنسان خاضعاً لله ويثمر الإيمان به تعالى ؛ وإذا حصل الإيمان جاء كلُ شيءٍ تبعاً له .

إذا صدّق الإنسان أنّ هناك موجوداً هو مبدأ هذا العالم وهناك حساب وأنّ هناك مرحلةً بعد الموت وأن الموت ليس فناءً بل هو إنتقالٌ من نقصٍ الى كمال؛ فهذا التصديق يحفظه من كافة الأشياء ومن كافة الإنحرافات؛ فالأصل هو هذا التصديق ولكن المسألـة الوحيـدة هي كيف يحصل هـذا التصديق ؟!

هذه الآية الشريفة تقول ﴿ **بسم الله** . . . **الحمد لله** ﴾ حسناً؛ لقد أوضحت أحد أبعادها ـ وأكرر أيضاً أنّ ما قلتُـهُ هو على نحـو الإحتمال لا الجزم ـ ؛ فإذا صدق الإنسان أنّ جميع المحامد هي لله فعندها لن يحدث في قلبه شرك وأذا أثنى على أحدٍ فلكونه من تجليات الله .

* علي (ع) التجلي الإلهي العظيم

إذا أنشد قصيدةً في مدح الأمير علي (ع) فهو يريدُ أن يقول أنه يدّرك أنها لله ، لأن الامام عليه السلام هو التجلي العظيم لله ، ولكونه كذلك لذا فإن ما فرضتموه مدحاً له فهو مدحٌ لله من خلال مدح تجليه .

إذا أيقن الإنسان وصدّقَ أن المحامد لله لأعرض عن نفسه : إنّ ما ترونه ويراه من كثرة ضجيـج الإنسان بمقـوله : ـ ﴿ **لمن الملك** ﴾؛ ومـا ترونه من كثرة غرور الإنسان يرجع الى كونه لم يعرف نفسه ، فإن : ـ « منْ عرف نفسه فقد عرف ربّه »[1]؛ لا يدري أنه لا شيء ولو عرف ذلك وصدّق به ، وصدق أنّ كلَّ ما هو موجود منه تعالى لعرف ربه .

والمشكلة الأساسية هي أننا لا نعرف لا أنفسنا ولا ربّنا؛ ولا إيمان لنا لا بأنفسنا ولا بربِّنا؛ لم نصدق أننا لا شيء ولم نصدق أنه هو كل شيء؛ وما لم يحصل هذا التصديق فلا فائـدة من إقامـة البراهين مهمـا زادت ، وإتسعت؛ إذ تبقى تلك « الأنانية النفسية » فاعلةً .

إنّ أقوال (أنا كذا وأنت كذا) هي جميعاً إدعاءات فارغة من أجـل

---

(١) حديث مشهور مروي عن الإمام علي عليه السلام ، راجع شرح الشيخ ابن ميثم البحراني على المائه كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام (الكلمة الثالثة ص٥٧ من طبعة جماعة المدرسين في حوزة قم المقدسة) .

الرئاسة وأمثالها ، وأصلها بقاء الأنانية التي ما دامت باقيةً فالإنسان يرى نفسه .

* رأس البلاء . . .

جميع المصائب التي تنزل على رأس الإيمان؛ تصدر من حب النفس؛ فالإنسان يحب نفسه؛ في حين أنه لو أدرك حقيقة الأمر وجدانيّاً لعرف أن نفسه لا شيء وهي للغير وحبه للغير؛ وقد سموه إشتباهاً بـ « حب النفس »؛ وهذا الإشتباه يدمر الإنسان ، فجميع المصائب التي تحِلُّ بنا هي من حب الجاه وحب النفس هذا؛ حبُ الجاه هو الذي يقتل الإنسان ويدمره ويؤدي به الى النار .

وحب الجاه وحب النفس هذا هو: « رأس كل خطيئة »؛ جميع الخطايا تصدر من حب النفس وحب الجاه ، ولكون الإنسان ينظر الى نفسه ويعجب بها ويحبها لذلك فهو يريد كلَّ شيءٍ لها ويعادي كل ما يمنعه عن ذلك أو يتوهم أنه مانع؛ ولكونه يريد كل شيء لنفسه لذا فهو لا يضع لذلك حدوداً ومن هنا كان « حب الدنيا رأس كل خطيئة »[1] .

---

(١) مروي بإختلاف يسير عن الإمامين السجاد والصادق عليهما السلام (الأصول من الكافي للشيخ الكليني باب ذم الدنيا والزهد فيها وباب حب الدنيا والحرص عليها ، ويُلاحظ أن النص يعتبر « حب الدنيا » بصورةٍ مطلقة بأنه رأس كل خطيئة دون تخصيص لحرامها عن حلالها ، وقد نبّه الى ذلك الإمام الخميني ـ قدس سره ـ وحذّر من حب الدنيا مطلقاً (راجع رسالته لنجله السيد أحمد المؤرخة في ١٧/ شوال/١٤٠٤ هـ . ق المطبوعة مع مجموعة أشعار عرفانية للإمام تحت عنوان « نقطة عطف » بالفارسية .

* كل المحامد لله .

كتابُ الله إبتدأ بمطلبٍ ينبهنا الى جميع القضايا؛ فعلى نحو الإحتمال إن جميع القضايا تتضح عندما يقول تعالى : ـ ﴿ **الحمد لله** ﴾ ؛ فهو لا يريد القولَ : ـ إنّ بعض المحامد لله ؛ عندما يقول هو قادر ولكني أحمدُ لكم لا لله ! ! ؛ ولكنّ جميع المحامد لله .

عندما يقول تعالى : ـ « الحمد الله » فهو يعني أن جميع أقسام الحمد وحيثيته هي من الله ولله ؛ أنتم تتوهمون أنكم تحمدون غيره ولكنه هنا يكشف غطاءً عن كافة القضايا ؛ ونفس هذه الآية الكريمة الفريدة تكفي الإنسان لو صدّقها ولكن المسألة هي في التصديق .

﴿ **الحمد لله** ﴾ ؛ جميع المحامد لله ؛ ولو صدّق الإنسان بهذه الكلمة فقط لخرجت من قلبه كافةُ أنواع الشرك ؛ وذاك الذي يكشف أنه لم يشرك بالله طرفة عين أبداً ، إنما حصل على هذا التصديق وجدانياً ؛ وصل إليه بوجدانه وأدرك المطلوب ؛ وهذا ما لا يمكن للبراهين أن تؤدي إليه فليس لها الأصالة والإقتدار المطلوب ؛ البرهان جيدُ فلا نقول أنه شيءُ ولكنه يجب أن يكون وسيلة ؛ فالبرهان وسيلة إذْ انكم وفق عقولكم وبالسعي والإجتهاد تستحصلون الإيمان .

* خشبيةُ قدم الإستدلاليين .

الفلسفة وسيلة فليست مطلوبةً بذاتها ؛ وواجب الإستدلال هو إيصال القضايا والمعارف الى عقولكم و « خشبيةٌ هي قدم الإستدلاليين »[1] ؛

---

(١) ترجمة نثرية لصدر بيت شعر بالفارسية للشاعر الإيراني المولى جلال الدين الموسوي الرومي ، وكامل ترجمة البيت هي :

خشبية هي قدم أصحاب الاستدلال   والقدم الخشبية هي في غاية العجز

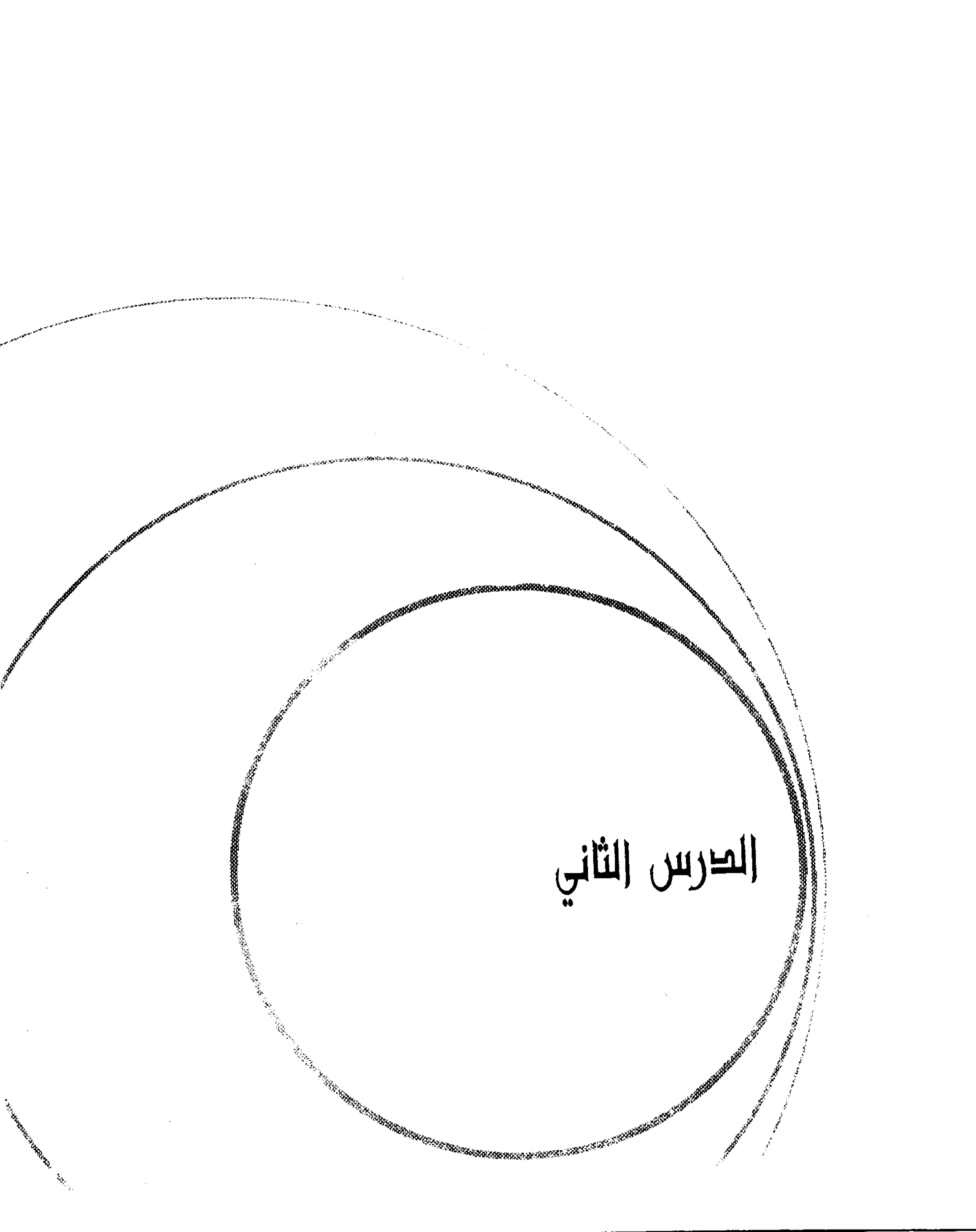
المقصــود هو أن هــذه القدم خشبـة تجعـل الإنســان قـادراً على السيـر؛ والإنسان حقيقةً يستطيع السير بها . إنها عبارةٌ عن تلك القدم التي يرى بها الإنسان تجليات الله ـ فيستندُ إليها ـ ليدخلَ الإيمانُ قلبه ويحصل بالوجدان الذوقي الذي يوجده على مرتبة من الإيمان وهناك مراتب إيمانية أسمى .

ءأمـل أن لا نكتفي بقراءة القـرآن وتفسيـره؛ بـل المهم أن نصـدق بمســائله؛ وأن نصدق بكـل قدمٍ وكلمـةٍ نقرأهـا من القرآن فهـو الكتـاب الهادف الى بناء الإنسان بناءً صحيحاً ، وهو يصنع الموجود الذي أوجـده بنفسه ، أوجده بالإسم الأعظم وجعل فيه كل شيءٍ موجوداً بالله ولكن ليس بصورة جلية .

القـرآن يريـدُ أن ينقل الإنســان من هذه المـرتبة النـاقصة الى تلك المـرتبة التي تليق بـه ، ولهذا الهـدف تنزّل القـرآن وكـانت بعثـةُ جميـع الأنبيـاء ، حيث أنهم بُعثوا ليـأخذوا بيـد الإنسان وينقـذوه من هـذه البئـر العميقة التي سقط فيها وأعمقهـا بئرُ « النفســانية »؛ ويهـدوه الى تجليات الحق لينمى ويـذهل عن كـل شيءٍ . . . رزقنـا الله ذلـك بمشيئتـه عـزّ إسمه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ختام الدرس الأول من دروس الإمام الخميني (رض) في التفسير
٢/ صفر/ ١٤٠٠ هـ . ق



الدرس الثاني



أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمدُ لله رب العالمين .

كان الكلام في « بسم الله »؛ فبماذا يتعلق هذا الجار والمجرور ؟ قلنا ـ على نحو الإحتمال ـ إنّ أحد الإحتمالات هو أن تكون البسملة في كل سورة متعلقة بنفس هذه السورة بالمعنى الذي يناسبها؛ فمثلاً في سورة « الحمد » يكون معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » هو أنّ « الحمد بسم الله »؛

وإستناداً الى هذا الإحتمال يكون معنى البسملة في كل سورة مختلفاً عن معنى البسملة في السورة الأخرى؛ وعلى هذا يجب البحث ـ مثلاً ـ عن الإسم الذي يناسب بسملة سورة الحمد ، فما هو الإسم الذي يكون به الظهور للحق ـ تعالى ـ ويقع الحمد لله بهذا الإسم ؟

وهكذا يجب البحث عن معنى الإسم المناسب في بسملات السور الأخرى؛ فمثلا في سورة « قل هو الله . . . » ، ما هو الإسم المناسب لقول « هو الله أحد » ؟ ،

ومذكور في الفقه أنه لـو قرأت البسملة لسـورة وأردت قراءة سـورة أخرى فالبسملة الأولى لا تكفي ويجب تكرار البسملة مع السورة الأخرى؛ وهذا الأمر يناسب المعنى المتقدم من إختلاف معنى البسملة في كل سورة عن الأخريات؛ ولو لم يكن هناك إختلاف في المعنى بين بسملات سائر السور لما كانت البسملة جزء من كل سورة سوى في سورة الحمـد وهنا أيضا هو من باب التبرك كما يقول البعض؛ وليس هذا القول بالصحيح .

وفيما يتعلق بسورة الحمد التي نحن بصددها ، فـ« بسم الله » هنا متعلقة بالجار والمجرور الذي بعدها ، وأحد الإحتمالات هو أنّ « الحمد » يعني جميع مصاديق الحمد من أي حامدٍ كان ، فكـل حامـد يحمد إنمـا بإسمِ الله؛ يعني أن الحامد نفسه إسم ـ الله ـ وجميـع أعضائـه وجوارحـه أسماء أيضاً ، والحمد الصادر من الإنسان هو باعتبار أن هذا الإسم يحمد باسم الله ، وأنتَ أيضاً إسمٌ آخر وزيدٌ كذلك إسم ، فكلٌ منكم من أسماء الله ، يعني مظاهر الأسماء: ـ « الفاعل الإلهي فاعل الوجود »؛ إنتبهوا الى كون أن الفاعل الإلهي ـ وهو فاعل الوجود ـ يتمايز عن الفـواعل الـطبيعية بفـروق منها أن الشيء الـذي يصدَر من المبـدأ الإلهي ويُسمى بالفـاعـل الإلهي؛ هذا الصادر هو فانٍ في المصدر بحيث ليس له أي حيثية من نفسه وليس لـه أيُ نحو من الإستقـلال ، ولتقـريب المعنى للذهن نشبـه الأمـر بشعاع الشمس في مقابل الشمس ـ وإن كان الأمر ليس كذلـك أيضاً فهـو فـوق هذا التشبيـه ـ؛ ولكن على أي حالٍ فمثلمـا أن شعـاع الشمس لا إستقلال له أصلاً في مقابل الشمس ، كذلك الحال مع الفاعل الإلهي وهو نفس الإيجاد ونفس الوجود الصادر عن مبـدأ الخير فليس لـه أي نحو من الإستقلال بنفسه ، لا في التحقق ولا في البقـاء ولا لموجـود واحد ، فلو إنقطع عنه شعاع الوجود لما إستطاع البقاء لأنه محتاجٌ الى المبدأ في البقاء

مثلما هو مفتقر إليه في أصل التحقق؛ .

ولأنّ الموجودات لا حيثية لها من أنفسها ولكونها فانية في المبدأ لذا فإنها وفي نفس الوقت الذي تكـون ظهور أسمـاء الله فهي أنفسها أسمـاء الله ، إنها أسماء الله الفعلية .

* فناءُ الظاهر في مبدأ الظهور .

ففي نفس الحال الذي يكون فيه نور السمٰوات والأرض ظهـور نور الله : ـ ﴿ **الله نور السمٰوات والارض** ﴾ ، يكون أيضاً ظهـوره لا أن يكون هو نفسه ، لكن العلاقة بين الظاهر ومبدأ الظهور هي أن هذا الظاهر فـانٍ في مبدأ الظهور ، فهذا الموجود فانٍ في مبدأ بحيث لا يكون له أي شكل من الإستقـلال ، فهذا هـو وهذا الـظهور هـو الفاني فيـه ولهذا قـال ـ عز وجل ـ : ـ ﴿ **الله نور السمٰوات والأرض** ﴾ .

* إحتمالات « الحمد » .

وعلى القـول بأنّ الألف والـلام في « الحمد » هي إستغـراقيـة وأنّ « بسم الله » متعلقٌ بهـا ، فإنّ كـلَّ حمدٍ من أي حـامدٍ إنمـا يتحقق باسم الله ، والحـامد هـو إسمه ، وعلى أحـد الإعتبارات فـالحامـد والمحمـود واحـد ، ظهـور ومـظهـر : ـ « أنت كمـا أثنيت على نفسـك ، أعـوذُ بـك منك »[1] ، فلأن الحامد يكون فانياً في المحمود من هنا يكونُ وكأنه هـو الذي يثني ، فما مِن حيثيةٍ للغير لكي نقول إنني أثني عليه فهو الذي يثني من باب ـ الفناء ـ .

---

(١) في مناجاة الشاكرين والـراغبين من المناجـاة الخمسة عشـر للإمـام السجاد توضيحات دقيقة لهذا المعنى .

وهنـاك إحتمالٌ آخـر هو أن لا تكـون الألف واللام في « الحمـد » للإستغراق ، أي أن يكون تكثير فردي للأفراد . إنّ نفس الطبيعـة مجردةٍ عن جميع الخصوصيات هي « الحمد » ليس له تعيّنٌ بأيٍّ نحو كان ، وهنا يكون معنى « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله » الحمـدَ بدون تعيين ، الحمد المطلق .

وبناءً على هذا الإحتمال ، تصبح محامدنـا عكس الإحتمال الأول فلا تكون واقعـة له[1] . فـالحمد الـذي يقع لـه هو الـذي يفعله بنفسه ، فالحمد الصادر عن غير حمدٌ محدودٌ متعينٌ وهـو ـ تعالى ـ غيـر محدود ، وحمد المحدود لغير المحدود لا يصبح حمداً ، ويكون عكسه ما تقدم قوله من أن الحمد لا يكون إلّا لله ؛ فأنتم تتصورون أنهم يمدحون الخط الحسن لكنهم يمدحون الله لا الخط ، تتصورون أنكم تمدحون النور أو تمدحون العـالم ولكنه مـدح « الله » لا العالم ، هكـذا تقدم القـول من أنّ جميـع المحامد لله ، فكل ما هو حمد ومن أي حامد صدر يرجع الى الله ، لأنّه ما مِنْ كمالٍ ولا من جمال في العالم سوى كماله وجماله ، أما الموجودات فليست بشيء فلو نُزع عنها هذا التجلي لما بقي منها شيء فهي موجـودة به .

ـ فيمـا تقـدم ـ قيـل أن جميـع المـوجـودات هي تجليـات الله ونـوره : ـ ﴿ **الله نور السموات** . . . ﴾ ولـو نـزع هـذا التجلي مـا بقي مـوجود ، ولكـونـه تجلي وكـون أنّ المـدح هـو للكمـال فـلا يقـع مـدح لغيره ـ تعالى ـ إذْ لا كمال غير كماله ؛ كماله ظهور كمال ذاته ، وكماله في

---

(١) توضح هذا المعنى بدقة مناجاة الذاكرين من المناجاة الخمسة عشر للإمـام علي ابن الحسين السجاد عليهما السلام .

مقام الظهور ، كمالٌ في مقامِ الذات ، كمالٌ في مقام الصفات . كمالٌ في مقام الظهور ، جميع كمالات العالم هي كماله ، وفي مقامِ الظهور كلٌ من يمدح إنما يمدحُ كمالاً ، وعليه فكل مدح يقع ، يقع له ، هكذا هو الأمر وفق الإحتمال الأول .

أما في هذا الإحتمال الثاني ـ وهو إحتمالٌ طبعاً ـ ، فيكون الحمدُ حمداً مطلقاً لا حمدً كل حمد ، الحمد المطلق يعني حمداً دون غير ودون قيد ، حمداً ليس فيه أي قيد ، والحمدُ الذي يصدر عنا جميعه حمد متعينٌ ولمتعين ، إذْ لا سبيل لنا الى الموجود المطلق لكي نحمده ، لا ندركه حتى نحمده ، أنتم حتى عندما تقولون « الحمد لله » فلا يحصل إدراك تلك « الحقيقة » لكي يكون الحمد له ، لذا فكل حمد يقع لا يكون له بل لمظاهره على العكس مما ورد في الإحتمال الأول حيث كل حمدٍ يقع لا يكون لغيره ، في حين أن الأمر في الإحتمال الثاني هو أن كل حمدٍ يقع لا يكون له سوى حمده نفسه ، أي أن يحمد نفسه بنفسه .

وعلى هذا فلا يمكن أن يكون « الإسم » في « بسم الله . . الحمد لله » ، على نفس المعنى الأول أي أنك أنت إسم وهو إسم والآخر إسمٌ أيضاً ، هذا إسم الله وظهور المطلق بلا قيد ، وعلامة المطلق أن يكون بلا قيد ، ظهورٌ من الغيب وإسم الغيب ، وبذاك الإسم يكون وقوع الحمد أي يحمد بنفسه تلقائياً ، الظهور يحمد المُظْهِر؛ وهذا أيضاً قولٌ على نحو الإحتمال؛ وبالطبع يكون المتعلق بإسمِ الله هنا متعلقاً بالحمد ، فحيناً كل مصداقٍ من الحمد وحيناً صرف وجود الحمد الذي ليس له أي قيد .

مرةً تكون جميع المحامد الواقعه لله لا لغيره ، ومرةً إخرى لا يقعُ أي حمدٍ لله ـ بمعنى الحمد المطلق ـ ، أي يكون حمداً محدوداً لا حمداً

مطلقاً ، وعندها يكون معنى « الحمد لله » ذلك الحمد المطلق غير المقيد بأي قيد ، ويقع له بالإسم المناسب له ، وهذا أيضا إحتمالٌ آخر .

كما ذكروا إحتمال أن لا تكون البسملة متعلقةً بنفس السورة ، وقال البعض أنها متعلقة بظهور الوجود فيكون معنى البسملة أن كلَّ شيءٍ يوجد إنما يكون وجوده بإسمِ الله يعني الإسم مبدأ ظهور جميع الموجودات؛ وهذا الإسم عبارة عن المشيئة التي ورد ذكرها في الحديث الشريف: ـ « إن الله خلق المشيئة بنفسها وخلق الأشياء بالمشيئة »[1] .

* المشيئة هي الظهور الأول

والمشيئة هي عبارة عن الظهور الأول الذي خلقه بنفسه أي بدون واسطة ، ويكون خلق كافة الأشياء الاخرى بالمشيئة؛ ويحتمل أن يكون الوجود الذي هو ظهر الوجود ، تتعلق به البسملة التي لا تتعلق بالسورة بل بشيءٍ خارجي ؛ وهذا ما يراه أهل الأدب مناسباً لمثل الحالة مع « أستعين » وأمثالها ، فلو كانت إستعانة بالله ـ ولو أنّ أهل الأدب لا يلتفتون ـ فهي إستعانة باسم الله ، فكلُ مَن يستعين إنما يستعين بإسم الله فلا يمكن لأحد أن يستعين بغير إسم الله ؛ لا أن يكون إسم الله أمراً لفظياً وشكلياً بل هو حقيقة واقعية؛ فإسم الله ظهوره في كل شيء[2] والإستعانة هي باسم الله ؛

---

(١) يرويه الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد بسندٍ متصلٍ عن الإمام الصادق عليه السلام (الباب ١١ ص١٤٧ ـ ١٤٨ ، الحديث ١٩) ، وقريب منه ما في الباب ٥٥ ص٣٣٩ الحديث الثامن بسندٍ متصلٍ عن الصادق عليه السلام أيضاً .

(٢) راجع في هذا المجال المقاطع التي ورد فيها ذكر « إسم الله » في الأدعية المروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ، خاصة دعاء كميل بن زياد ودعاء السمات .

بهذا الظهـور؛ وكلُ شيءٍ يكـون بهذا الـظهور ، وهي تـرجع إليـه ولو لم يلتفت الأديب .

« الله » هذا الذي يرتبط بالمتعلق ما هو ؟! ، فيما يرتبط بالإسم قلتُ سابقاً أنه علامـة المسمى ، فأي شيءٍ مـوجود لا يكـون علامـة على هذا الإسم ؟ أي شيءٍ تفرضون له وجوداً بنحو ما هو ظهورٌ له بنحو ما وعلامة له .

* مراتب الأسماء

الإسم هو العلامة ، وغاية الأمر أنّ لـه مراتب ، فهنـاك إسم يجسد تمـام معنى العـلامـة ، وهنـاك إسم دونـه حتى يصـل الى مـرتبـة سـائـر الموجودات ، فجميعها علامات وجميعها ظهورٌ للاسم على مراتب . ورد في الحـديث الشريف « نحن الأسمـاء الحسنى »[1] ؛ فالإسم الأعلى في مقام الظهور هو النبي الأكرم ، والأئمة الأطهار؛ أولئك الـذين وصلوا في مرتبة السير ـ في مرتبة الحركة من النقص ـ وصلوا الى حيث تحررهم من جميع الطبيعيات من كل شيءٍ ، أولئك ليسوا أمثالنا حيث نحن في هـذه البئر العميقة .

* هجرةٌ الى الله .

نحن لم نتحـرك؛ هناك أشخـاصٌ تحركـوا وخرجـوا من هذه البئـر وهـاجروا : ـ ﴿ **ومن يخـرج من بيته مهـاجراً الى الله ورسـوله ثم يـدركه**

---

(١) يرويه الكليني في الكـافي بسنده عن معـاوية بن عمـار عن الإمام الصـادق عليه السلام ، ونص الحديث هو: ـ « نحن والله الاسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد الا بمعرفتنا » راجع تفسير الميزان ج٨ ص٣٨٤ .

الموت فقد وقع أجره على الله ﴾[1] .

أحد الإحتمالات هو أن هذه الهجرة هي من النفس الى الله ، و« البيت » هنا هو نفس الإنسان ، فهناك طائفةٌ خرجوا وهاجروا عن هذا البيت الظلماني : ـ ﴿ **مهاجراً الى الله ورسوله** ﴾ الى أن وصلوا الى منزل : ـ « أدركه الموت » ، وصلوا مرتبةً لم يعد لهم فيها شيءٌ من أنفسهم ، موتٌ مطلقٌ ، وعندها « وقع أجرهم على الله » ؛ فهنا أجر آخر ، ما هو الجنة ولا أشكال النعيم الأخرى ، هنا « الله » فقط .

إن من يتحرك ويخرج من بيت نفسانيته ويهاجر الى الله والى رسوله ـ وهذه إيضاً هي هجرةُ الى الله ـ ، يصل الى مرتبة « أدركه الموت »[2] ، وعندها لا يكون هناك شيءُ من نفسه ، كل ما هو موجود هو من الله ؛ هذا ما يشاهده في هذه الهجرة ، وأجره على الله .

طائفةٌ هاجروا هذه الهجرة ووصلوا الى المنتهى وأجرهم أيضاً على الله ، وآخرون مهاجرون على الدوام ، فهم طائفة في حالةِ هجرةٍ مستمرة لكنهم لم يصلوا الى « آيات الهجرة » وهي « أدركه الموت » ؛ وهناك طائفة مثلنا ، لا هجرة لنا أصلاً ، فنحن في هذه الظلمات أسرى هذه الدنيا والطبيعة وأشد منها أسرى « أنانية » أنفسنا سجناء هذه البئر العميقة ، سجناء في بيت النفسانية ؛ وبناءً على هذا الإحتمال ، فإننا لا نرى إلاّ أنفسنا وكل ما نريده هو لأنفسنا ، ليس لدينا غير النفس ولم نفكر أصلاً

---

(١) سورة النساء الآية ١٠٠ .

(٢) يقول مولى الموحدين الإمام علي عليه السلام في الخطبة ٢٠١ من نهج البلاغة « وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم » ، ويقول عليه السلام في الخطبة ٢١٨ : ـ « . . قد أحيا قلبه وأماتَ نفسه . . . . » .

ولم نسعَ للهِجرة؛ فكل ما نفكر به هو في بيت النفسانية .

* الوديعة الإلهية .

جميع القوى الإلهية التي أودعها الله فينا أمانة لدينا ، لا نرّدها الى صاحبها؛ نصرفها على ما هي عليه هنا ـ في هذا البيت ـ ولا زلنا فيه ولا نزال ، ويوماً بعد آخر نزداد بُعداً عنه ، عن هذا المبدأ ، عن المحل الذي يجب أن نهاجر إليه؛ وقد روي أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان قاعداً مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدةً عظيمة ـ صوتاً رهيباً ـ ، فارتاعوا وسألوا عن هذا الصوت فقال (ص) : ـ « حجرٌ أُلقي من أعلى جهنم مُنذُ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها » ، فقال ذوو القلوب الحية « فسمعنا إن كافراً ـ منافقاً ـ قد مات وكان عمره سبعين سنة »[1] ، ونحن أيضاً سائرون بهذا الإتجاه ، غاية الأمر أني مُنذ ثمانين عاماً أسير بهذا الإتجاه ، وأنتم مُنذ سنوات عديدة؛ وأرجو أن لا تسيروا أنتم أيضاً بهذا الإتجاه .

* أعدى الأعداء .

كل ما يجري علينا وكل ما نبتلي به هو من حب النفس ، من هذه « الأنانية » ، «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك »[2] ، هكذا ورد التعبير عن النفس ، فهي الأسوأ من كل الأعداء ، وأكبر من كل الأوثان ، فهي أم الأوثان ، إذْ أن الإنسان يعبدها أكثر من سائر الأوثان ، يتوجه إليها

(١) راجع كتاب علم اليقين للفيض الكاشاني ج٢ ص١٠٠٢ (المقصد الرابع الباب الثالث عشر ـ الفصل الرابع) .

(٢) حديث نبوي مشهور ، راجع بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٥ ص٤٠ إذ ينقل حديثاً عن النبي الأكرم (ص) قريباً من مضمون الحديث .

أكثر من سائر الأوثان؛ وما لم يحطم هذا الوثن فلا يستطيع أن يصبح إلهيّاً ، فلا يمكن الجمع بين الله وبين الوثن لا يمكن الجمع بين الأنانية والإلهية .

* العبادة الحقة .

ما لم نتحرر من هذا البيت ، من معبد الأصنام هذا ، وما لم نتحرر من هذا الوثن ونعوض عنه ونتوجه الى الله تبارك وتعالى ؛ وما لم نخرج من هذا البيت فنحن من عبدة الأصنام حتى لو كنا موحدين ظاهريّاً .

نقول « الله » بألسنتنا ولكن الذي في قلوبنا هو أنفسنا ، نريد « الله » لأنفسنا ، وإذا كنا نريدُ « الله » لأنفسنا ؛ فإننا نقف ونصلي ونردد ألفاظ : ـ ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ، ولكن العبادة هي في الواقع هي عبادة النفس ؛ وعندما يكون الإلتفات والتوجه هو للنفس عندها أرى جميع الأبعاد بالنفس ، وأريدُ جميع الأشياء لنفسي .

* « الانانية » أم المصائب .

جميع هذه المصائب التي تحل بالإنسانية ناشئة من هذه النقاط من « أنانية الإنسان » ، جميع الحروب في هذا العالم من هذه الأنانية ، فما من حرب ونزاع بين المؤمنين ، فإذا نشبت حربٌ بين المؤمنين فليعلموا أنهم ليسوا مؤمنين ، فلا حربَ بين المؤمنين .

ولكن حيث لا يكون هناك إيمان ، وحيث أن توجه الانسان الى النفس ، لذا فهو يريد كلَّ شيءٍ لنفسه؛ ومن هنا يقع النزاع ، أنا أريد هذه الأريكة لنفسي وأنتم تريدونها لأنفسكم ، وحيث لا يمكن الجمع يقع التعارض والتضاد؛ أنا أريد هذا البساط لي وأنتم تريدونه لكم ، أنا أريد أن

تكـون هذه الـرئاسـة الوهميـة لي وأنتم تريـدونها لكم ، وحيث لا يمكن الجمع بين الإرادتين ينشب النزاع .

هذا يريد هذه الـدولة لـه والثاني يـريدهـا لنفسه ، فتقـع الحرب ، جميع هذه الحروب في العالم هي بين الأنانيات ، الانسان يحارب بأنانيته والحـروب ، هي حروب الأنـانيـات وهي معـدومـة بين الأوليـاء لأنهم لا أنانيات لديهم ، فلو إجتمع الأولياء في مكانٍ واحدٍ لما نشب بينهم أبداً ولا ظهر إختلاف بينهم لأن كلّ شيءٍ هو « لله » ، فلا مكان هنا للنفس ، لكي يجرَّ هذا البساط الى طرفه فيحدث الإختلاف وينشب بينهم النزاع .

الجميـع هم لمبـدأ واحـد ويسيـرون بنفس الإتجـاه ، ولكنـا نحن واقعون في بئرٍ عميقة وظلمات أشدها ظلمة هي ظلمة « الأنانية » ومـا لـم نخرج منها فلا سبيل للخروج من تلك البئر العميقة .

ما دُمنا في ظلمات الأنانية فسنظل لا نلتفت إلّا الى أنفسنا ، فنعتبر الآخرين لا شيء أما أنفسنا فهي كل شيء ؛ وكل ما يُطرح يقبله الإنسان إذا ينفعه وإلا فلا يرضى به حتى إذا كان حقاً ، يصدق به فوراً اذا كان يرى فيه منفعةً لنفسه ، وإلا لا يصـدق به بتلك السـرعة ، وكـل ذلك نـاشيءُ من الأنانية .

كل المصائب التي تحِلُّ بنا وبكم وببني آدم في كل مكان ناشئة من هذا المنبع ؛ فالنزاع ناشيءُ من الأنانية ؛ من كوني أنا أجرُّ الى طرفي وانت الى طرفك .

وما دامت هذه الأنـانية مـوجودة فمـا من « إلهية » ومـا من عبادة الا عبادة النفس .

* الهدف من بعثة الأنبياء

والآن من هو القادر على الخروج من معبد الأوثان هذا الموجود في داخل الانسان ذاته ؟!

الأمر يحتاجُ الى يدٍ غيبية تأخذُ بيد الإنسان وتخرجه من هذا المعبد؛ ولهذه الغاية كانت بعثةُ جميع الأنبياء .

لقد بُعث كافة الأنبياء وأُنزلت كافة الكتب السماوية لأجل إخراج الإنسان من معبد الأصنام هذا وتحطيمها وتحويله الى عابدٍ لله .

جاء الأنبياء جميعاً لتحويل عالم الإنسانية هذا الى عالم إلهي بعد أن أصبح عالماً شيطانياً يخضع لحكومة الشيطان .

والحاكم علينا هو الشيطان ونحن أتباعه فهوى النفس هو من مظاهر الشيطان وحكمه علينا ، لذا فكل عملٍ نقومُ به هو عملٌ شيطاني ، وكل ما نفعله ، نقوم به بأنانيةٍ ما دام فيه دَخْلٌ للشيطان الأكبر وهو النفس الأمارة ، وحيث نفعله بأنانيةٍ فنحن تَبَعٌ لشيطاننا .

الشيطان مهيمن علينا الآن الى أن نهاجر ونخرج من هذا البيت بتعليم الأنبياء والأولياء وتوجيههم ، ونعرض عن هذه الأنانية وتحقق ذلك يعني أننا بدأنا نخرج من هذه البئر ونسير الى ذلك الجانب ، وإذا أفلح شخصٌ ـ في هذه الدنيا ـ بالوصول الى ذاك المحلُ الذي لا يخطر في أوهامي ولا أوهامك ، عندها ينعدم ويفنى؛ والذي يطلب الكمال عليه أن يهاجر هذه الهجرة .

* الجهاد الأكبر .

على من يـريدُ الخـروج من هذه الأنـانية أن يهـاجـر هـذه الهجـرة بالمجاهدة يجاهد ويهاجـر ، جئتم من الجهاد الأصغـر : ـ « وبقي عليكم الجهاد الأكبر »[1] ، وسائر أشكال الجهاد في الدنيا تبعٌ لهذا الجهاد ، فلو انتصرنا فيـه لكان كـل جهادٍ نقـومُ به هـو جهاد ، وإذا لم ننجـح في هذا الجهاد لكانت سائر أشكال جهادنا الأخرى شيطانية .

فالذي خرج للجهاد من أجل الحصول على « جـارية » ، أو طعـام فهذا هو أجر جهاده؛ أمـا الذي كـان لله فأجـره أيضاً على الله ، فسنخيـة الأفعال تختلف ، وهناك فرق بين الأفعال الصادرة عن أولياء الله وبين تلك الصادرة عنّا ، لأن المصدر مختلف .

* الإخلاص الإلهي .

هل كانت : ـ « ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين »[2] دونما مبرر ؟! ضربةٌ واحـدةٌ لقتل شخصٍ واحـد تفضل عبـادة الثقلين ، فلماذا ؟ بالطبع هذا التفضيل يـرجع من جهـةٍ الى كون أنّ هـذه الضربـة جاءت عندما برز الايمان كله الى الشركِ كله فلو كـانت هزيمـة لعلي يوم الخنـدق لضاع الإسـلام ، هذا من جهـةٍ ، ومن جهةٍ أخـرى هناك ذلـك الإخلاص والإلهية ، فعنـدما جلس الإمـام على صدر ذلـك الشخص ثم بصق هذا على الإمام نهض الإمام ـ حسبما يروى ـ لئلا يكون لذلك تأثيرٌ (وهذا الموقف هو من باب الإحتياط أيضاً والا فـ « الأنـا » غير مـطروحة

---

(١) الإختصاص ص٢٤٠ ، وكذلك في البحار ج٦ ص٤٤٣ عن الكافي .
(٢) بحار الأنوار ج٣٩ ص٢ .

أصلاً بالنسبة له) ، وهذا الموقف صدر من الجنبة الإلهيـة فيه وظهـر في الجنبـة النفسـانيـة ، لـذا فهـذه الضـربـة تعبـر عن روح أسمى من كـل العبادات ، هي الروح التي تجعل العبادة عبادةً .

حسب الظاهر فإنّ الفرق بين المشـرك وغير المشـرك هو في عبـادة الأصنام فالأول يعبد الأصنام والثاني لا يعبدها ، وله أذكـار وأوراد تتشابـه ظواهرها ، أبو سفيان كان يصلي ومعاوية كان يأمُ صلاة الجماعة الظواهر متشـابهة ، أمـا الذي يـرفع الصـلاة فهي الروح تُنفـخ في الصلاة ، فـإذا وُجدت هذه الروح إرتفعت الصلاة وأصبحت إلهيـة؛ وبدون ذلـك تكون عبادة من أجل النفس ، وهذا هو حالنا جميعاً فلا نخادع بعضنا البعض .

* عبادة من أجل الجنة .

إن عبادتنا جميعها هي من أجل أنفسنـا ، والصالـح جداً هـو الذي يعبد من أجل الجنة؛ فارفعوا الجنة من ثواب الأعمال ولاحـظوا من الذي يبقى يعبـد ؟! عليٌ يبقى وحـوض علي ، علي الـذي : ـ « عشق العبـادة وعانقها » ؛ فالعبادة من أجل الجنة غير مطروحة بالنسبة للذي غض الطرف عن نفسه وهجرها وخرج من هذا البيت ووصل الى مرحلة « الموت » فلم تعد اللذات مطروحة أصلاً بالنسبة له فهو ذاهـل عنها وميتٌ عنهـا « أدركه الموت » فلم تعد هذه الأمور مطروحة بالنسبة له أصلاً ، وعنده الجنة والنار والجميع على حدٍّ سواء : ـ « أثنى على ذات الله تعالى » ، أثنى على الله إذْ وجده أهلاً لأنْ يُعبد ووجد أنه أهلاً لأن يَعبده ، وهذه مرتبة من مراتبهم ؛ وهي أن يجد عاشق العبادة أنه أهـلاً للعبوديـة وأن يعبد المعبـود؛ وهناك مراتب اخرى أيضاً هي فوق ما نتصور نحن .

* القيام لله .

والقـدم الأولى هي أن تقرروا الخـروج من هذا البيت وتخـرجوا ، القدم الأولى أن يقومَ الإنسان قياماً لله ، أن يستيقظ ، أن لا يبقَ نائماً مثلما نحن الآن في سبات ظاهره اليقظة؛ يقظةٌ حيوانية وسبات ونوم الإنسانية ؛ نحن نائمون: ـ « النـاس نيامٌ فـإذا ماتـوا إنتبهوا »[1] ، نيـامٌ الآن وعندمـا يحصـل الموت ينتبهـوا الى أي واقعٍ كـانـوا فيـه ؟! ﴿ **إنّ جهنم محيـطة بالكافرين** ﴾[2]؛ أي أنها الأن أيضاً محيطةٌ ولكن الإنسان لا يعتبر لأنه في خدر الطبيعة ـ حيث الأنسان طبيعتُهُ الخدر ـ فـاذا زال هذا التخـدير ينتبـه ويرى أن الكل أصبح ناراً .

يجب سلوك هذا الطريق فلا مناص ، سيأخذوننا فيه على كل حال ، ولكن علينا أن نستيقظ بأنفسنـا ونسلك الطريق المستقيم الـذي يجب أن نسلكه وعلينا الخضوع لتربية الأنبياء .

لقد جاء جميع الأنبياء لإصلاح الإنسان ، وما من نبيٍّ بُعثَ دون أن يكـون هدفـه إصلاح الإنسـان ، إقامـة العـدل ليست سـوى إصـلاح بني الإنسان؛ فالعدل يصدر من الانسان وكذلك الظلم ، وإقامة العـدل تعني تحويل الظالم الى عادل والمشرك الى مؤمن؛ تحويل هذا الموجود الذي لو ترك لحاله لكانت عاقبته الهاوية وجهنم ، والأنبياء يرشدون هذا الوجود الى

---

(١) من الكلمات المأثورة عن أمير المؤمنين عليـه السلام ، وهي الكلمـة الثانيـة من الكلمات المائة التي شرحها ابن ميثم البحراني ص٥٤ من طبعة جماعة مدرسي حوزة قم ، والحديث منقول أيضاً في كتاب « عوالي اللآلي » ج٤ ص٧٣ وكذلك في بحار الأنوار ج٤ ص٤٣ .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٩ وكذلك العنكبوت الآية ٢٤ .

الطريق الذي يجب عليه أن يسلكه؛ نحن الى الآن لم نسلك هذا الطريق وقد تصرمت من العمر سبعون وثمانون سنة ولم نتحرك ولم نهاجر الى الآن لا زلنا واقفين حيث نحن من هذه الارض والى النهاية نحن عى هذا الحال ولكن لا مناص علينا أن نتحرك ونسلك الطريق .

* وصية للشباب .

أنتم أيها الشباب تستطيعون العثور على الطريق الأفضل ، لقد فاتنا الأمر ، وذهبت قوانا الى حيث عاقبتها ، أنتم أيها الشباب تستطيعون بصورة أفضل أن تهذبوا أنفسكم ، فأنتم أقرب للملكوت من كبار السن ، إذ أن جذور الفساد أقل تأصلاً فيكم ، لم تمتد كثيراً بعدْ ، لكنها تتأصل وتتكاثر في كل يومٍ ما دامت باقية؛ ويصعب الأمر كلما تأخر وتعرقل ، فعسيرٌ للغاية على الشيخ العجوز إصلاح حاله إذا أراد ذلك ، ولكن الشاب يستطيع تحقيق ذلك أسرع .

يتحقق إصلاح الآف الشباب ، ولا يتحقق إصلاح عجوز واحد ، لا تتركوا أمر الإصلاح لأيام الشيخوخة ، إبدأوا ـ الآن ـ سَيركم ما دمتم شباباً ، إجعلوا ـ الآن ـ أنفسكم تابعة لتعاليم الأنبياء وهذا هو مبدأ المسيرة ومنه يجب الإنطلاق ، فالأنبياء أوضحوا الطريق وأرشدوا إليه ونحن لا نعرفه؛ هم يعرفونه فهم أطباء يعرفون سبيل السلامة وأوضحوه وأرشدوا إليه ، فإن أردتم السلام فعليكم أن تسلكوه ، عليكم أن تقللوا شيئاً فشيئاً من التوجه والإهتمام بالنفس؛ وبالطبع فمثل هذه المهمة لا يمكن إنجازها بسرعة ولكن عليكم التحرر شيئاً فشيئاً ، جميع آمالنا هذه ستُقبر وتنتهي ، جميع أشكال الإهتمام بالنفس ستنتهي وبالإضرار بنا ، والذي يبقى هو

المتعلق بالله (وما عند الله) : ـ ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق . ﴾[1] .

لدى الإنسان « ما عندكم » ، وللإنسان « ما عند الله » ، فما دام متوجهاً مهتماً بالنفس فهو من جنس « ما عندكم » وكله سيفنى وينتهي ، ولكن المتعلق الله فهو باق بإسمه لا ينفد .

* جاهدوا للإنتصار على النفس .

جاهدوا ولنجاهد من أجل الخروج من هذه الحالة التي تحيط بنا وبكم ، أولئك الذين كانوا ينتصرون على الكفار لم يكونوا يهتموا لتعداد أعدائهم مهما كَثُر ؛ ذاك الذي كان يعلن أنه لو إجتمعت العرب عليه لما تراجع إنما كان يقول ذلك لأنّ القضية قضية الله وما دامت كذلك فلا هزيمة فيها ولا تراجع .

أولئك الذين كانوا يجاهدون وينتصرون ، كانوا يتقدمون دون الإلتفات الى أنفسهم وطموحاتهم ، هؤلاء كانوا قد قاموا بمجاهدة النفس الى حدٍّ ما ، وأولئك كانوا في مراتب عالية ـ وكل حسب مرتبته ـ ، وما لم يقوموا بذاك الجهاد لما تحقق لهم ذاك الإنتصار ، فما لم يعرض الإنسان عن آمال نفسه وعن الدنيا لا يمكن أن يتقدم .

والدنيا هي آمال الإنسان ، فدنيا كل إنسان آماله ، فالدنيا الخارجية ما هي من الدنيا المكذوبة وكذلك حال عالم الطبيعة ، الدنيا هي هذه التي عندكم ، فأنتم عندما تلتفتون الى أنفسكم فأنتم « دنيا » ، دنيا كلّ شخصٍ هي الموجودة في نفسه وهي المكذوبة ؛ أما الشمس والقمر والطبيعة فليست مكذوبة بل مُدحت فهي مظاهر الله ، لكن الذي يُبعد الإنسان عن

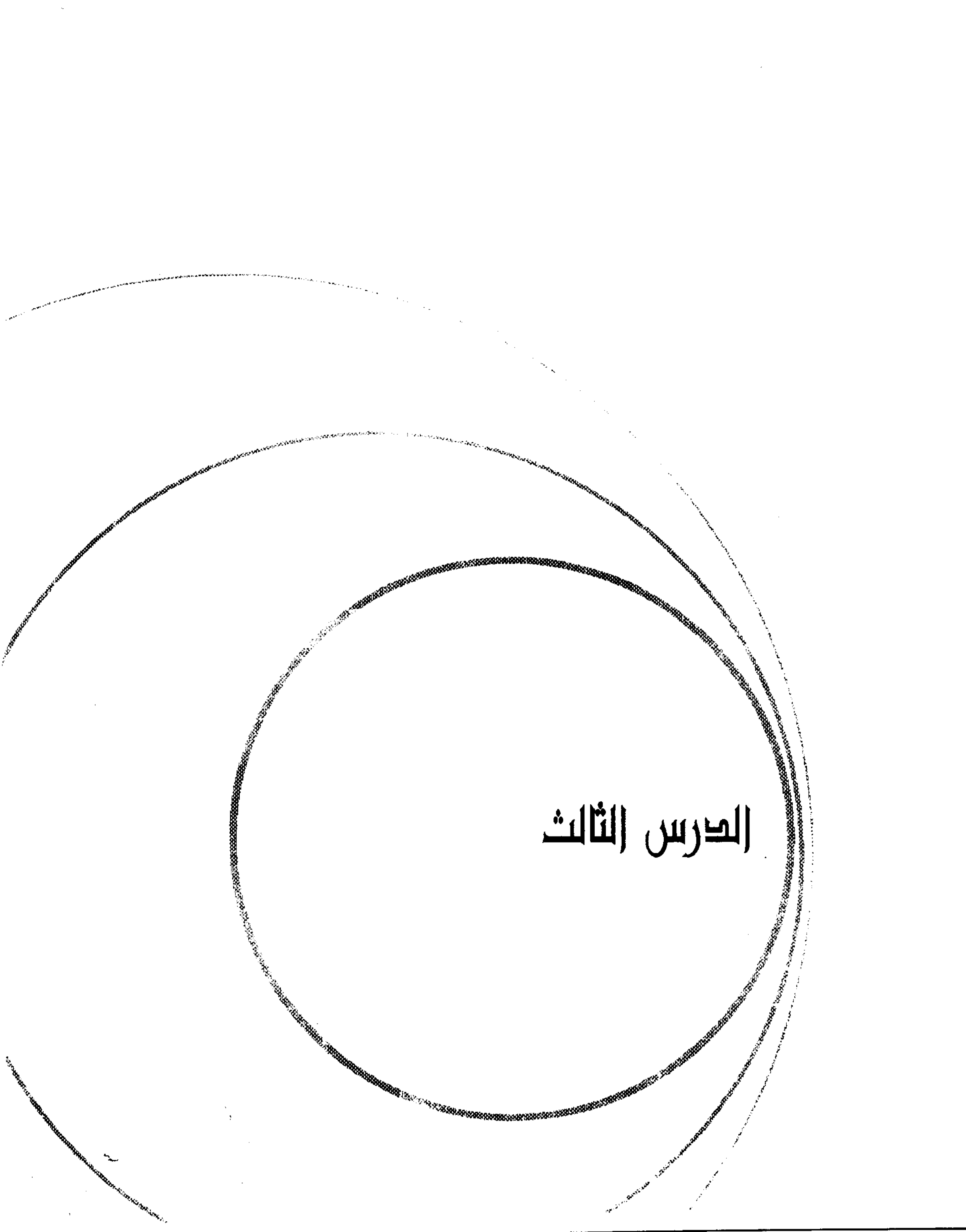
---

(١) سورة النحل الآية ٩٦ .

ساحة القدس والكمال فهي تلك الدنيا المكذوبة وهي داخل الإنسان نفسه (التوجه الى النفس) .

أسأل الله التوفيق لأن نخرج من هذه البئر الظلمانية العميقة ونتبع أولياء الله فهم قد تخلصوا من هذه المهلكة وخرجوا منها؛ و « أدركهم الموت » ، والسلام .

ختام الدرس الثاني من دروس الامام الخميني ـ قدس سره ـ في التفسير ١١/ صفر/ ١٤٠٠



الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ الحمد لله رب العالمين .

كـان الحديث فيمـا تقدم حـول الإسم في البسملة وبماذا يتعلق ، حيث عرضنا لذلك عدة إحتمالات .

* العلاقة بين الحق والخلق .

والأساسُ في فهمِ بعض هذه القضايا هـو أن يعرف الإنسـانُ طبيعة العلاقة بين الحق والخلق وكيف تكون؛ نحن نفهم الأمر بصورةٍ ببغاويةٍ ، والأكثر بواسطة البرهان (حيث أنّ ما هو أسمى من البرهان هو لأشخاصٍ آخرين) .

العلاقة بين الموجودات والحق تعالى هي ليست على نحو العـلاقة بين موجودٍ وموجودٍ آخر ، كالعلاقة بين الأب والإبن أو بـالعكس ، فهذه علاقة بين مـوجودٍ مستقـل وآخر مستقـل أيضاً ، عـلاقة بين ذوي بصيـرةٍ متساوية .

كما أن العلاقة بين الموجودات والحق تعالى ليست على نحو علاقة

شعاع الشمس بالشمس - رغم أن الربط فيها أسمى من النموذج السابق - لأن لشعاع الشمس أيضاً غيّرية عن الشمس ، فهي كذلك علاقة موجودٍ بموجودٍ آخر؛ كما أنها ليست كعلاقة قوى النفس المجردة بالنفس ، إذْ أنّ لربط القوة الباصرة والقوة السامعة بالنفس نحواً من المغايرة والكثرة أيضاً .

نعم لا يمكن تصنيف علاقة الموجودات بمبدأ الوجود الحق تعالى ضمن أيِّ نحوٍ من أنواع الربط التي ذكرتُها .

لقد وردت في الكتاب والسنة تعابير عن معنى الربط الموجود عملياً على نحو الإفادة ، فقد ورد التعبير عنه بالتجلي كقوله تعالى ﴿ **تجلى ربه للجبل جعله** ﴾[1] ، او كالذي ورد في دعاء « السمات » : - « وبنور وجهك الذي تجليت به للجبل فجعلته دكاً »[2] ، ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾[3] ملك الموت هو الذي يتوفى الأنفس ولكن التعبير القرآني جاء بـ « الله يتوفى . . . » ونفس التعبير ورد فيما يتعلق بالإنسان الذي يقتل شخصاً: قتله ، ولكن: - ﴿ **وما رميتَ إذْ رميتَ** ﴾ ، « ما رميتَ ورميتَ » « رميتَ وما رميتَ » ، هذا هو تجلي وهذا هو نور ، ولو أدركنا هذا المعنى بالبرهان أو بصورةٍ ببغاوية عندها تتضح بعض القضايا في هذه الآيات الكريمة .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٢) دعاء السمات المروي عن الحجة المنتظر عجلّ الله تعالى فرجه ، مفاتيح الجنان ص٧٣ وفي النص إشارة الى الآية المتقدمة .

(٣) سورة الزمر الآية ٤٢ .

* معاني الحمد .

في الإحتمال الأول الذي ذكرناه حيث أن الحمد هو جميع المحامد متكثرٌ ملحوظٌ بنحو الكثرة ، يكون الإسم كذلك ملحوظاً بطور الكثرة ، وعلى ذاك الإحتمال فان كلّ حمدٍ يقع لا يقع للحق تعالى لأن الحمد يقع للتجليات وهي ظهوره ـ تعالى ـ ، ظهور فوق ظهور الشمس في الشعاع ، وظهور النفس في السمع والبصر .

فالحمد يقع للمظاهر ، ولكنّ هذه هي أسماء متكثرة للحق تعالى ، لذا فالحمد له ـ تعالى ـ في نفس الوقت .

وعلى الإحتمال الثاني قلنا ، أن الحمد يكون حمداً مطلقاً وعليه يكون الأمر عكس ما في الإحتمال الأول فلا يقع له ـ تعالى ـ أيّ حمدٍ من حامد؛ وهنا أيضاً فالتجليات هي مظاهر ظهوره وعليه ، فرغم أنّ الحمد يقع لهذه المظاهر لكنَّ الحمد المطلق لا يصدر منّا لذا فلا يقع للمطلق ـ تعالى ـ .

ولكن من باب أنّ جميع هذه الكثرات مضمحلة في ذلك الوجود المطلق ، يقع له الحمد أيضاً؛ فالأمر يختلف بلحاظ النظر للكثرة والنظر للوحدة .

بلحاظ الكثرة ـ حسب الإحتمال الثاني ـ لا يقع أي حمدٍ للوجود المطلق ، ولكن وبلحاظ اضمحلال الكثرات في الوحدة تكون جميع المحامد له أيضاً . وحسب هذين الإحتمالين يختلف معنى الآية الشريفة بين أولها وآخرها ، فوفق كون أن الحمد إستغراقي فيشمل كل حمد ، ويكون الإسم اسماءً متكاثرة تشمل كلّ موجود ، فكل موجود إسمٌ ، وعليه تكون أسماء الله ، الرحمن الرحيم ، الواقعة في البسملة بمعنى بالله

والرحمن الرحيم .

وحسب الإحتمال الآخر يختلف الأمر ، فالإسم إسمٌ ظاهر ، وكل إسمٍ يختلف عن الإسم الآخر ومرتبة الكثرة هي ملاحظة مرتبة الكثرة ، وفي ملاحظة مراتب الكثرة ، يكون « الله » هو وصف هذا الإسم ، فالإسم إسم « الله » ، ولكن في مقام الكثرات وفي مقام التفصيل يكون « الله » هنا تجلياً للحق تعالى بالإسم الأعظم .

* تجليات الإسم الأعظم .

التجلي في الموجودات هو بالإسم الاعظم ، أما الرحمن فهو التجلي بالرحمانية في مقام الفعل وهكذا بالنسبة للرحيم ، ورب العالمين كذلك مع «إياك نعبد » وبنفس الصورة أيضاً يكون إختلافه عن الحال مع الإحتمال الآخر .

في الإحتمال الثاني وحيث يكون « الحمد » حمداً مطلقاً دون أي قيد ، يختلف إسم الله ، الرحمن ، الرحيم ، والى آخر السورة ، فالإسم هنا هو جميع الموجودات كل موجود هو إسم في كل عمل ، ومعنى الإسم يختلف فيه مع العمل الآخر ، هنا وحيث يكون الحمد مطلقاً ، يكون مطلقاً باسم « الله الرحمٰن الرحيم » .

والحمد المطلق هو لله ، الحمد المطلق يكون بالإسم الذي هو إسم ظهور مقام الذات ، أي في مقام أسماء الله ؛ في مقام الذات ، يكون « الله » إسماً جامعاً لمقام الذات لا مقام الظهور ، والإسم هو تجلي تلك نفسها ، وكذا الرحمن فهو تجلي رحمانية مقام الذات والرحيمُ رحيمية مقام الذات ، وهكذا الحال مع « الرب » .

وهناك بالطبع براهين إستدلالية على ذلك ، مدونة في

الفلسفة ـ المقصود الفلسفة العالية لا المتعارفة ـ ، ولكنّ كل ذلك غير الذي وصله الأولياء فقدم الأولياء عبرت بالسلوك المنازل وأدركوا المسألة وشاهدوها ، ولكنهم لا يستطيعون أن يبينوا مشاهداتهم للناس .

* نزول القرآن وتنزله .

والقرآن أيضاً نزل وتنزل حتى وصل الى مخاطبة هؤلاء الأسرى في حُفرة الضلالة ، النبي الأكرم (ص) أيضاً لا يستطيع أيضاً بيان الحقيقة الواقعية للناس الا بأن ينزلها أيضاً . من هنا كانت للقرآن مراتب ، سبعة بطون أو سبعون تنزّل عبر هذه البطون حتى وصل الى درجة مخاطبتنا نحن ، وأن يعرف الله نفسه بالإبل : ـ ﴿ **أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت** ﴾[1] .

وهذا من بواعث الأسف أن يتنزل الى الشمس والسماء والارض ونفس الانسان ، هناك عقدة في لسان الأنبياء وفي قلوبهم : ـ ﴿ **ربِ اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني** ﴾[2] . فلم يستطيعوا بيان ما شاهدوه ـ بالسرة التي أدركوه ـ لم يكن مما يُقال ، ولذلك عمدوا الى الأمثال والنظائر من أجل أن يفهمونا شيئاً ، عندما يعرّف الله نفسه لنا بالإبل تتضح المرتبة التي نحن فيها ، مرتبة نفس الحيوان ، كما تتضح طبيعة المعرفة التي نحصل عليها عن هذا الطريق ، معرفة هي غاية في النقص مقارنة بتلك التي ورد ذكرها فيما يتعلق بالأنبياء : ـ ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً** ﴾[3] ، فبعدما خضع لربوبية

---

(١) سورة الغاشية الآية ١٧ .

(٢) سورة طه الآيات ٢٥ ـ ٢٧ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

الحق تعالى وعبر هذه المنازل خاطب موسى ربّه قائلاً : ـ ﴿ **أرني أنظر إليك** ﴾[٤] ، طلب منه الرؤية ، ومعلومٌ أن طلب الرؤية بالعين لا يمكن أن يصدر من نبيٍّ عظيم ، بل المطلوبة هي الرؤية المتناسبة مع المرئي والرائي ، وهذه الرؤية لا نصلها نحن ، فموسى يطلبها بعد أن وصل الى مرتبة « كليم الله » ، فيتكلم مع ربه قائلاً : ـ ﴿ **ربِّ أرني أنظر إليك** ﴾ ، فيأتيه الجواب : ـ ﴿ **لن تراني** ﴾ ، يعني ـ على نحو الاحتمال ـ لا يمكن أنّ تكون هناك « رؤية » ما دمتَ موسى ، ما دمت « أنت » لكنه لم يجعله يرجع آيساً ، بل حوله الى : ـ ﴿ **أُنظر الى الجبل** ﴾ ، ما هو هذا الجبل الذي يقع عليه تجلي الحق في حين لا يقع لموسى ؟! ، انه جبل طور ؟! وهذا التجلي ، هل كان بإمكان أهل ذلك العصر أن يروه لو كانوا في جبل طور ؟! كانت تلك هي الشمس ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل** ﴾ ، أما ﴿ **ولكن أنظر الى الجبل** ﴾[١] ففيها موعدٌ للقاء ، لن تراني : ـ ﴿ **ولكن أنظر الى الجبل فإن إستقر مكانه فسوف تراني** ﴾[٢] ، قد يكون معنى « إستقر » هنا هو أن هذا الجبل أصبح « دكاً » ، فيحتمل أن يكون معنى الجبل هو « أنانية » موسى التي كانت هناك بقايا منها لدى موسى آنذاك ، وبنفس ذاك التجلي شتت تلك البقايا من الأنانية فوصل موسى الى مقام « الموت » : ـ ﴿ **خرَّ موسى صعقاً** ﴾ .

كل ذلك هو بالنسبة لنا قصة؛ فالذي أدرك أولئك بقدم الشهود هو قصة بالنسبة لنا فنحن نعيش في هذه الظلمات فلقد حدثونا عن ذاك الجبل وجبل طور .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٢ و٣) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

* معنى التجلي لموسى (ع) .

ذاك التجلي ـ يبدو في نظرنا ـ بأنه كان نوراً رآه موسى من جبل الطور ، والآخرون كانوا يرونه أيضاً؛ فهل كان نوراً حسيّاً لكي يراه الجميع ؟! ، كان جبرائيل الأمين يقرأُ القرآن لرسول الله فهل كان الذين كانوا عنده كانوا يسمعون ؟! بالنسبة لنا الأمر شجي أصله غير موجود ونحن غافلون عنه ونسمع من بعيد بالأمر .

حال الأنبياء كحال ذاك الإنسان الذي رأى رؤيا وشاهد لكنّ وفي لسانه عقدة عن البيان ومن حولَهُ طرشان جميعاً ، فهم لا يقدرون على البيان ونحنُ عاجزون عن الإستماع؛ وقالوا ولكن ليس لنا!! فنحن نفهم القضايا التي يمكن لإدراكنا فهمها ، في القرآن تبيانُ كل شيءٍ ، فيه أحكام شرعية ، وله ظاهر ، وفيه قصص لا نستطيع أن نفهم لبابها ، ما نفهمه هو ظواهرها ، والظواهر هي للجميع ، لكن هناك شيئاً آخر ينتفع منه الجميع ، أما الانتفاع الذي يجب أن يتحقق فهو إنتفاعُ : ـ « إنما يعرف القرآن مَن خوطب به »[1] ، وإستناداً لهذا النص ، فهذا الإنتفاع مختصٌ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والآخرون محرومون منه الا بتعليمه ، والأولياء أيضاً بتعليمه؛ ولكن رغم هذه المنزلة فانه : ـ ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك** ﴾[2] ، فهو ـ القرآن ـ قد نزل وتنزل أيضاً بيد الروح

---

(١) لتوضيح هذا المطلب ومعنى الحقيقة القرآنية وكيفية تنزلها تُراجع إفاضات العارف الكامل المولى الشيخ الشاه آبادي ـ أستاذ الإمام الخميني في العرفان ـ وقد أورد تحقيقات عرفانيه دقيقة حول هذا الموضوع في كتابه « رشحات البخار » ص١٢ ـ ٣٤ طبعة طهران المذيلة بالترجمة الفارسية للمتن العربي .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٣ ـ ١٩٤ .

الأمين ، لكن رسول الله في مقام التنزّل وذاك النزول كان بحيث يتلقى منه مباشرةً : - ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾[1] ، ففي ليلة القدر نزل جميعاً ، يعني أنه تجلى بنفس ذاك التجلي في ليلة القدر ، ولكن في مقام التنزل فالأعلى الروح الأمين .

يعني أن ما كان يرد على قلبه يجب أن يتنزل مراتب من هذا البطن الى ذاك البطن ومن هذا الحد الى ذاك حتى يصل الى الحدّ الذي يظهر على صورة ألفاظ .

* حقيقة القرآن

القرآن ليس ألفاظاً ، ليس من مقولة السمع والبصر ولا من مقولة الألفاظ ولا الأعراض ، ولكن أُنزل إلى الدرجة التي نستطيعُ نحن الصم العمي أن ننتفع به أيضاً ، أما حال أولئك الذين ينتفعون منه بتلك الصور العليا ، فهو حالُ آخر ووضعهم التربوي وضع آخر ، وكيفية تلقيهم من القرآن هي على نحو آخر غير الموجود هنا ، فالفرق ما بينهما كالفرق بين عالم الطبيعة وعالم الجسم وعالم الظاهر مقارنة بمراتب الغيب إلى ما شاء الله حتى يصل إلى مرتبة التجلي الأول ، فتجلي الحق تعالى هو الذي يظهر من عالم الغيب ويتنزل حتى يصل إلى عالم الطبيعة ، وهو نفس الفرق بين إدراكاتنا وبين ما فوقنا وما فوق هؤلاء وما فوق حتى يصل إلى مرتبة خاصة أولياء الله والأنبياء الذين هم في مرتبة ذلك التجلي الذي حصل لموسى (عليه السلام) : « بنور وجهك الذي تجليت للجبل » وهناك حيث يقول : « فلما تجلى ربه للجبل » ، وحيث ورد في دعاء السمات :

---

(١) سورة القدر الآية ١

ـ « بنور وجهك الذي تجليت للجبل » ، وهناك أيضاً يقول : ـ « يا موسى إني أنا الله » هنا تجلى للشجرة فكان « إني أنا الله » ، وهناك تجلى للجبل فكان : ـ « بنور وجهك الذي تجليت للجبل » ، جميع تلك صحيحة ، وكل منها تامة في مقامها .

* معرفة القرآن

إذا أردنا أن نتعلم القرآن فماذا نفعل ؟! هذه القضايا ليست للمتعلمين بذاك المعنى من التعليم والتعلم ، عندما ننظر إلى القرآن وإلى تفاسيره نجد أنها نفس هذه التفاسير المتعارفة ، ونجد في بعضها إشارات إلى هذه المعاني لكنّ على نفس هذا النحو من التعليم والتعلم للصُم والعمي .

القرآن فيه تبيان كل شيء ولكن الذي يدركه هو : ـ « إنما يعرف القرآن من خوطب به » ، ما هو القرآن الذي لا يعرفه سوى من خوطب به ؟ معلومٌ انها مرتبة القرآن الذي : ـ « نزل به الروح الأمين » ، ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ و« نزل على قلبه » ، فقضية هذه المرتبة لا يمكن لأحدٍ غيره (صلى الله عليه وآله) إدراكها ومشاهدتها ، فالقضية هنا ليست قضية إدراك عقلي ولا قضية برهانية ، بل هي قضية مشاهدة ومشاهدة غيبية ، مشاهدة ليست بالعين ولا بالنفس ولا العقل ولا القلب ، المشاهدة كانت لذلك القلب الذي هو قلب العالم ، قلب نبي ، هو وصل وأدرك « إنما يعرف القرآن مَن خوطب به » ، هو أدرك وشاهد ولكنه لا يستطيع أن يوضح ذلك إلاّ في شكل الأمثلة والألفاظ ، فكيف تستطيعون أن تُفهموا الأعمى ما هي الشمس وما هو النور ؟! بأي لسانٍ وبأي قول ، غير أن النور هو الشيء الذي يُضيء ، ولكن الذي لم ير النور كيف يمكن تفهيمه معناه ؟! ، هذه العقدة هي التي في اللسان وطرفها في الأذن ، وهذه هي

العقدة التي كانت في ألسنة الأنبياء .

* محنة الرسول الاكرم(ص)

عقدة النبي الأكرم أشدّ من الجميع ، فإلى مَنْ يتحدث عن الذي شاهده وما نزل عليه من القرآن ، سوى لمن وصل إلى مقام الولاية التامة ؟! ولعل أحد معاني حديث : « ما أوذي نبي مثل ما أوذيت » ،ـ لو صحت نسبته إلى رسول الله ـ هو في الأذى الناتج عن عدم قدرة الإنسان على إيصال ما يجب إيصاله ، أذى ذلك الذي لا ينبغي له أن يخبر عزيزه بالذي شاهده وهو أسمى من كل ما شاهده الجميع وأدركوه ، ما أشد أذى ذلك الوالد الذي يريد أن يشاهد ولده الشمس ولكنّ ولده ضرير ، يريدُ أن يوضح له هذا النور ولكن كيف ؟! هل يتحقق ما يريد من خلال عناوين جميعها مجهولة لا غير ؟! : ـ « العلم هو الحجاب الاكبر » ، حجاب كبيرٌ هو هذا العلم الذي يشغل الإنسان بهذه المفاهيم العامة والعقلية ويصدره عن السبيل ، حجاب للأولياء ، وكلما زاد إزداد الحجاب غلظة : الإنسان وبهذا العلم الذي لديه يتوهم أن العالم أجمع هو هذا لا غير ، فالإنسان انانيٌ معجبٌ بنفسه ما لم يخرج من هذا الغطاء .

* « الإحتكار » العلمي

جميع الكمالات يحصرها الإنسان بالعلم الذي توصل إليه وأدركه ، فالفقيه يتصور أن لا شيءَ غير الفقه في العالم ، والعارف يتصور أن لا شيءَ غير العرفان والفيلسوف يتصور أن لا شيءَ غير الفلسفة ، والمهندس يتصور أن لا شيءَ سوى الهندسة ، فلعلهم يعتبرون العلم عبارةً عما عرفوه بالمشاهدة والتجربة وأمثال ذلك . اذا ..ون أن هذا هو العلم وغيره ليس بعلمٍ ، وهذا حجابٌ كبيرٌ ، هناك حجبٌ كثيرةٌ تلفنا جميعاً ولكنّ أكبرها

هو حجاب العلم هذا .

لأنه هو الذي ينبغي أن يرشد الإنسان إلى الطريق وإلى الهداية فإذا به يصدّه عن الطريق ويمنعه الهداية ، وهذا هو حال العلوم الرسمية جميعاً فهي تحجب الإنسان عما ينبغي أن يصل إليه ، وتوّلد لديه العجب ، فعندما يدخل العلمُ قلباً غيرَ مهذب يجرّ صاحبه إلى الخلف ، وكلما زاد خزينه زادت مصائبه .

مهما نثرت من بذور في الأرض الملحية فلن تحصل على ثمرة ، وهذا هو حال القلب المحجوب غير المهذب ، القلب الذي يخاف من إسم الله ، البعض ومثلما يخافون من الأفعى يخشون المسائل الفلسفية رغم أن الفلسفة هي أيضاً من العلوم الرسمية ، الفيلسوف أيضاً يخاف - بنفس الصورة - من العرفان ، وهكذا حال العارف لما فوقه ، والجميع هي علومٌ رسمية وكلها « قيلَ وقال » .

* علم التوحيد قد يصدّ عن التوحيد

لا أدري إلى متى نبقى على هذه الحالة ، يجب بكحدٍّ أدنى أن نهذب أنفسنا بحيث لا تكون هذه العلوم الرسمية مانعةً لنا عن الله وذكر الله ، وهذه مسألة مهمة ، أن لا يصبح الإشتغال بالعلم سبباً للغفلةِ عن الله ، وأن لا يتحولِ إلى عاملٍ لبعث الغرور فينا فيبعدنا عن مبدأ الكمال .

هذا الغرور موجودُ لدى العلماء بمختلف الإختصاصات ، سواء العلوم المادية والطبيعية أو العلوم الشرعية أو العلوم العقلية ، فما لم يكن القلب مهذباً ظهر الغرور الذي يصدّ الإنسان بصورة كاملة عن الله . عندما ينهمك بالمطالعة يغرق فيها وعندما يقوم للصلاة ، يؤديها ولكن ليس هو مع

الصلاة ، فماذا يعني هـذا ؟! كان أحـد أصدقـائي ـ رحمه الله ـ يقـول : ـ « لا أتـذكر الآن إتـركني إلى أن أقومَ للصـلاة لكي أتـذكـر »!! ، كـأن الإنسان عندما يؤدي الصلاة فهو ليس في الصلاة أصلاً ، لا يتوجه إلى الله وقلبه ليس معَ الصلاة بل في مكانٍ آخر ، قد يفكر أيضاً بكيفية حل مسألةٍ علميةٍ ، من ذاك العلم الذي هو مقدمة للوصول للغاية والمقصود فإذا بـه يصـدّ الإنسـان عن الغـايـة والمقصـود ، هـذا الأمـر يصـدق على العلوم الشرعية ، علم التفسير وعلم التوحيد ، فالقلب إذا لم يكن مستعداً مهذباً يتحول فيه حتى علم التوحيد إلى غلٍّ وقيدٍ يصدُّ الإنسان .

* الوسيلة والغاية

العلوم الشرعية جميعاً وسائل ، المسائـل الشرعيـة جميعها وسـائل للعمل والعمل أيضاً وسيلة ، جميعها وسائل الوصول للمقصـد والغايـة ، وسـائل لإيقـاظ النفس ولكي تخرج من هـذه الحجب الظلمـانيـة ، هـذه الحجب التي تجعلنا في ظلمات ، تخرج من هذه الـظلمات لتصـل إلى الحجب النـورانية ، ويبـدو أن هناك تعبيـر ورد في وصفهـا هُـو أن هنـاك « سبعين ألف حجاب من نور ومن ظلمـة » ،[1] وحتى تلك النوريـة فهي حجبُ أيضاً ، ونحن لم نخرج حتى من الحجب الظلمانية ، لازلنا نتقلقل في أطباقها ولا ندري ماذا ستكون العاقبة .

---

(١) راجـع بحـار الأنـوار (ج٢ ، ص٣٩٥) : حيث أورد حـديثـاً عن ا[illegible] الاكرم (صلى الله عليه وآله) قال : « ... [illegible] حجب ربي دخلت سبعين ألف [illegible]ب بين دل حجاب إلى حجاب من حجب العـزة والقدرة والبهـاء والكرامـة والكبرياء والعظمة والنور والظلمة والوقار والكمال . . . » ، والنص مـأخوذ من حديث المعراج .

* للعلم آثار سيئة أيضاً

العلم لم يؤثر في نفوسنا سوى بالتأثير السيء ، هذه العلوم وتلك ، الشرعية والعقلية التي سماها المساكين بـ« الذهنيات » ، أي التي لا عينية لها ، هي وسائل للوصول إلى المقصد والغاية ، ولكنّ كلاً منها يصدّنا عن المقصد ، فلا يعود علماً بل حجاباً ظلمانياً وهذا هو واقع كل علمٍ يحجز الانسان عن الوصول إلى المقصد ، وعن تحقيق ما بُعثَ الأنبياء من أجله ، فبعثةُ الأنبياء هي من أجل إخراج الناس من هذه الدنيا ومن هذه الظلمات وإيصالهم الى مبدأ النور ، لا الأنوار ، لا أن في هذه الجهة ظلمات وفي تلك نور ، النور المطلق ، الأنبياء جاؤوا من اجل إيصال الناس إلى الفناء في النور المطلق وأن تفنى هذه القطرة في البحر (وبالطبع المثال ليس منطبقاً) .

لأجل هذه الغاية كانت بعثةُ جميع الأنبياء ، وكافة العلوم هي وسيلة العينية هي لذلك النور ونحن العدم ، أصلنا من هناك ، والعينية هي لذاك المبدأ ، جميع الأنبياء جاؤوا لإخراجنا من هذه الظلمات وإيصالنا إلى النور لا الأنوار ، يخرجوننا من الحجب الظلمانية والنورانية ويجعلوننا نتصل بالنور المطلق .

أحياناً يكون علم التوحيد حجاباً ، يقيمُ برهاناً على وجود الحق تعالى لكنه نفسه محجوب ، نفس برهانه يبعده عن الذي يجب أن يصله ، لم يكن منهج الأنبياء والأولياء بهذه الصورة البرهانية كانوا يعرفون البراهين ، ولكن القضية ليست إثبات الواجب ـ تعالى ـ بالبرهان .

يقـول سيـد الشهـداء (عليـه السـلام) : ـ « متى غبت »[1] ؟! ، ويقول : ـ « عميت عينٌ لا تراك عليها رقيبا »[2] وهي عمياء بالفعل .

* القيام « الله » أولاً

المـرتبة الأولى القيـام : ـ ﴿ **قل إنمـا أعظكم بـواحدةٍ أن تقـومـوا لله** ﴾[3] ، وقد إعتبر أصحاب السير هـذا القيام المنـزل الأول ولعله ليس منزلاً بل مقدمة ، إعتبـره صاحب « منـازل السائـرين »[4] المنزل الأول ، ولكن من الممكن أن يكون مقدمة والمنزل الذي يليه هو المنزل الأول .

ما في الآية وصية وموعظة من موجود عرف نفسه ، يقول له : ـ قل لهم : ـ ﴿ **إنما أعظكم بواحدة** ﴾ ، موعظة واحدة هي : ـ « أن تقومـوا » و« لله » ، ومن هنا تبدأ كافة القضايا ، القيام لله ، أن ينهض الإنسان لله من هذه النومة ، قل لأولئك النائمين الذين سقطوا هنـا فاقـدي الوعي : ـ لي عندكم موعظة واحدة هي أن تقـوموا من مكـانكم لله ، ومن إجله إسلكوا الطريق ، ونحن لم نصغي بعد لهذه الموعظة الواحدة ولم نسلك الطريق من أجله ، فطريقنا يؤدي إلينا ، حتى حال أولئك الجيدين جـداً هو هـذا الحال : نعم هناك طائفة من الأولياء هم على نحو آخر .

هذه الموعظة موجهة لنا نحن النائمون أما أولئك فقد وصلوا هم في العُلى وسيجـرونا إلى هنـاك ، لا أحد يستـطيع القـول بـأننـا هنـا الآن ،

(١و٢) من دعـائه (عليـه السـلام) في يـوم عـرفـة راجـع مفـاتيـح الجنـان المعـرب (ص٢٧٢) .

(٣) سورة سبأ ، الآية٤٦ .

(٤) من تصنيف الخواجة الشيخ المولى عبد الله الأنصاري وعليه شرح للمـولى عبد الرزاق الكاشاني .

فالموكلون المهيمنون على جميع قوانا يأخذوننا ، هذه القـوى تجرنـا إلى ذلك الإتجاه ، فمنذ البداية وحيث نحن في الطبيعة هم يقودوننا إلى مكان آخر وسنذهب ، ولكن مع الظلمات والحجب ذاهبون .

* مصدر الفتن

حب الدنيا هو المنبع : ـ « حب الدنيا رأس كل خطيئـة »[1] ، وقد يوصل الإنسان الموحـد ـ أحيانـاً ـ إلى نوع من البغض والسخط على الله تعالى عندما يتصور أنه تعالى قد سلبه شيئـاً يحبه ، وقـد قيل أنّ الإنسـان عندما يشرف على الرحيل إلى العالم الآخر ، يأتيه شياطين لا يريدون لـه أن يرحل عن هذه الدنيا موحداً فيأتونه بالأشياء التي يحبها ، طالب العلوم الدينية مثلاً يأتونه بكتابه الذي يحبه ويقـولون لـهِ أرجع عن عقـائدك وإلا أحرقنا هذا الكتاب ، ونفس الأمر مع مَنْ كان حبه للولد أو أي شيء آخر .

* المعيار في التعلق

لا تتصوروا أن أهل الدنيا هم الذين يمتلكون الحدائق والبساتين ، فقد يكون هنـاك من يمتلك الكثير منهـا لكنه ليس من أهـل الدنيـا ، وقد يكون هناك طالباً لعلوم الدين له كتابٌ واحدٌ وهو من أهل الدنيا ، الميزان هو التعلق والإرتباط ، تعلق الإنسان بالأشياء ، وهذا التعلق قد يؤدي إلى إيجاد العداوة لله في قلب الإنسان عندمـا يرى أنـه راحل عن هـذا العالم حيث تنقطع صلته بالأشياء التي تعلق بها ، فيصبح لذلك معادياً لله .

عليكم أن تقللوا من شدة هذا التعلق بمختلف أشكاله ، فنحن على

---

(١) المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء (ج٥ ، ص٣٥٣) كتاب ذم الدنيا ، والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، وقد تقدم ذكر مصادر اخرى له .

كل حال راحلون عن هذه الدنيا سواء أحببنا شيئاً وتعلقنا به أم لا ، فلا فرق .

سواء تعلقتم بهذا الكتاب أو هذا المنزل أم لم تتعلقوا ، فهما لكم تنتفعون منهما على كل حال ، فقللوا التعلق بهما ، فأنتم تستطيعون أن تقطوا هذا التعلق ، فهو الذي يجلب على الإنسان المصائب وهو من حب النفس ، حب الدنيا وحب الرئاسة وهو المرض المهلك للإنسان .

حب المنصب وحب المسجد وغير ذلك هي جميعاً من الدنيا ، وهي من التعلقات الدنيوية ، وهي حجب بعضها فوق بعض ، كراراً ومراراً ما نقعد ونقول ، هؤلاء لديهم كذا وكذا وأولئك لديهم كذا وكذا ـ وهم أسرى التعلقات الدنيوية ـ ولكن دققوا النظر في أنفسكم ولاحظوا كيف حالكم أنتم ، ما هي شدة تعلقكم بما لديكم ، قارنوها بقوةِ تعلق من تعيبون عليه تعلقه .

* سر إنتقاص الآخرين

لولا حب النفس والأنانية لما عاب الإنسان على الآخرين ، فحالةُ تقصي معائب الآخرين الموجودة لدى بعضنا ناشئة عن أننا نعتبر أنفسنا غاية في التهذيب والسلامة والآخرين ذوي عيوب فنعترض عليهم بسببها ، وذلك بسبب حب النفس الذي نرى بسببه أننا كاملون .

في تلك المقطوعة الشعرية ـ لا أريد أن أقرأها ـ ، ورد أن أحدهم عاب على آخر عيباً فأجابه : ـ أنا كما قلت ولكن هل يا ترى أنت كما هو ظاهرك ؟! .

نحن نستعرض « مظاهر » للناس ، من قبيل أننا جئنا إلى هنا لطلب

العلم ودراسة الشريعة وأننا من جند الله وأطلقنا إسمَ « جند الله » على أنفسنا ، فهل نحن حقيقة كما تبدو مظاهرنا ؟! هذا هو الحدّ الأدنى أما أن يكون الباطن شيئاً والظاهر شيئاً آخر فهل هذا غير النفاق ؟! فالنفاق ليس فقط أن يظهر الانسان التدين وما هو بمتدين كأبي سفيان ، فما تقدم نفاقٌ أيضاً ، نفاقٌ هو أن يظهر الإنسان شيئاً سامياً وهو على خلافه وهو بذلك من المنافقين ، والفرق هو في المرتبة .

وعلى أي حالٍ فالعاقبة هي الرحيل عن هذه الدنيا ، ولا يُقال أنّ أولئك يدعون إلى الآخرة إلى هناك وهنا هي الدنيا ، فهم ـ الأنبياء ـ وإن كانت دعواتهم جميعاً إلى الآخرة فقد كانوا يروجون للعدالة هنا .

* المرتبة العليا : دوام الحضور

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : ورغم أنه موجود إلهي ، يُنسب إليه قوله : ـ « ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يومٍ سبعين مرة »[1] ، نفس معاشرة هؤلاء الأشخاص ـ كانت تؤدي إلى كدورة ما ، فالذي يجب أن يكون دائم الحضور عند محبوبه يرى في مجيء شخص ـ وإن كان صالحاً للغاية ـ سائلاً عن مسألة ، مانعاً له ـ بهذا المقدار ـ عن تلك المرتبة التي يريدها وإن كان نفس ذلك هو حضور ، فالإنسان الذي يحادثه هو في عينه من المظاهر ولكن رغم ذلك يمنعه ـ بمقدار ـ عن تلك المرتبة التي يريدها وهي مرتبة دائم الحضور : ـ « ليغان على قلبي وإني

---

(١) المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء (ج٧ ، ص١٧) كتاب التوبة وقريب منه ما في صحيح مسلم (ج٨ ، ص٧٢) «كما جاء في هامش المحجة » ، هناك في المصدر إضافة « الليلة » والغين هو الغيم ، وغينت السماء اذا أطبق عليها الغيم .

لاستغفر الله في كل يومٍ سبعين مرة » ، مثل هذا منقولُ عن النبي الأكرم .

الإشتغال بمثل هـذه المسائـل بالنسبـة لنا حجـابٌ يجب أن نخرج منه ، ولو ـ كحدٍّ أدنى ـ بمقدار أن نكونَ حقاً مثلما ما نُـظهر لا أن نكـون خلافاً لظاهرنا ، لو كانت على جباهنا آثار السجود و كان ظاهرنا أننا نعمل لله فكحدٍّ أدنى يجب أن لا نرائي في الصلاة ، ولو كنا نُظهر أنفسنا ورعين جداً فلنتورع عن أكل الربا والإحتيال على الآخرين وهكذا .

* المعْنويات والحركة

أولئـك الذين تصـوروا أن هذه العلوم المعنـوية تحجـز النـاس عن الحركة والنشاط هم على إشتباه .

ذات الإنسان الذي كان يُعلّمُ الناس العلوم المعنوية هـذه ، والذي لم يكن له نظير بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معرفة الحقائق ، هذا الإنسان وفي نفس اليوم الذي بايعوه بالخلافة ، حملَ فأسه وذهب إلى عمله في الزراعة ـ كما ينقل لنا التأريخ ـ .

أولئك الذين ـ وبدافع من تـوهماتهم ـ يحـذرون الناس من الـدعاء والذكر وما ماثل ، لكي يلتصقوا بـالدنيـا ، هؤلاء لا يدرون مـا الأمر ، لا يعرفون أن نفس هذا الدعاء والأذكار هي التي تجعل الإنسان يتعامل مـع الدنيا بالصورة المطلوبة ، الذين أقاموا العدل في الدنيا هم هؤلاء الأنبياء الذين كانوا أهل الذكر والفكر وكل شيء ، وهـم الذين ثاروا ضد الظلمة ، وهـذا نهج الأوليـاء أيضاً ، الإمـام الحسين بن علي (سلام الله عليـه) قام بتلك الثورة ، وهو نفسه الذي ترون دعاءه في يوم عرفة كيف هو .

* الدعاء والتحرك النهضوي

هذه الأدعية هي مصدر أمثال هذه النهضات ، وهذه الادعية هي التي توجه الإنسان للمبدأ الغيبي لو أحسن قراءتها ، ونفس هذا التوجه يؤدي إلى تقليل تعلق وحب الإنسان لنفسه ، وهذا لا يمنع الإنسان عن الحركة والنشاط ، كلا ، بل على العكس هو يولد حركةً ونشاطاً أيضاً لدى الإنسان ولكن ليس من أجل نفسه ، يل إنه يدرك أنه يجب أن يتحرك وينشط من أجل خدمةِ عباد الله ، فهي خدمة لله .

أولئك المنتقدون لكتب الأدعية إنما يفعلون ذلك لكونهم جهلة مساكين لا يعرفون كيف أن كتب الأدعية هذه تصنع الإنسان ، فأي إنسانٍ ـ عظيم ـ تصنعه الأدعية الادعية الواردة عن أئمتنا ، كالمناجاة الشعبانية ودعاء كميل ، ودعاء الإمام سيد الشهداء (سلام الله عليه) يوم عرفة ، دعاء السمات . . .

إن الذي يقرأ المناجاة الشعبانية هو نفسه الذي يشهر السيف أيضاً هذه المناجاة كان يقرأها جميع الأئمة ، ولم أرَّ فيما يتعلق بسائر الأدعية الأخرى مثل هذا الوصف ـ قراءة جميع الأئمة لها ـ ، والذي يقرأها يشهر السيف ويجاهد الكفار .

هذه الأدعية تخرج الإنسان من هذه الظلمات وعندما يخرج منهما يصبح عاملاً في سبيل الله ، مقاتلاً في سبيل الله ، قائماً لله .

الأدعية لا تحجز الإنسان عن الحركة والعمل كما يدعي أولئك قاصرين آمالهم على هذه الدنيا معتبرين كل ما وراءها من « الذهنيات » لكنهم سيصلون إلى حيث يرون أن هذه الذهنيات هي « العينيات » وما كانوا يرونه عينياً هو الذهنيات .

هذه الأدعية والخطب ونهج البلاغة ومفاتيح الجنان وسائر كتب الأدعية ، هي التي تعين الإنسان ليصبح إنساناً .

* كل الأعمال لله

وعندما يصبح الإنسان إنساناً يقوم بجميع تلك الأعمال ، يزرع ولكن لله ، ويقاتل لله ، أولئك الذين قاموا بأعباءٍ كل تلك الحروب ضد الكفار والظالمين هم قراء الأدعية . أكثر أولئك الذين كانوا في ركاب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) كان نفسه يقوم للصلاة في خضم إشتداد حمى القتال ، يقاتل ويصلي ، وفي إشتداد القتال قام خطيباً متحدثاً عن التوحيد عندما سأله أحدهم عن التوحيد ، وعندما إعترض آخر بأن الوقت غير مناسب لمثل هذا ، أجاب (عليه السلام) : ـ « دعوه فإنّ الذي يريده الاعرابي نريده من القوم »[1] .

فالحرب هنا ليست للدنيا : عليٌ لم يحارب معاوية لكي يتسلط على الشام ، الرسول الاكرم والإمام علي لم يكن هدفهم العراق والشام ، بل هدف أن يكون الإنسان فيها إنساناً ، أن ينقذوا أهلها من سلطة المستكبرين ، هؤلاء هم أصحاب الأدعية ، الإمام علي الذي كان يقرأ « دعاء كميل » هو نفسه المقاتل الشجاع .

---

(١) راجع كتاب « النوادر في جميع الأحاديث » (ص٤٣) طبعة قم والكتاب للمولى الفيض الكاشاني وهو مستدركه على شرحه « الوافي » لأصول الكافي ، والحديث ينقله عن توحيد الصدوق .

* تأثير الدعاء في النفوس

الذين يبعدون الناس عن الأدعية ـ كما فعل يوماً الخبيث « كسروي » حيث دعا إلى يوم لحرق كتب العرفان وكتب الأدعية . . ، هؤلاء لا يعرفون ما الدعاء وما هي طبيعة تأثيره في النفوس ، لا يفقهون أن جميع هذه الخيرات والبركات هي من قراء نفس هذه الأدعية ، حتى الذين يقرأونها ـ بكيفيةٍ ضعيفةٍ ـ ويرددون ذكر « الله » ولو بصورة ببغاوية ، فأنهم يتأثرون بها وهم خيرُ من تاركيها .

المصلي ـ ولو وفق أدنى مراتب إقامة الصلاة ـ هو خيرُ من تاركها ، واكثر تهذيباً ، فهو لا يسرق ، راجعوا ملفات الجرائم ولاحظوا نسبة مرتكبيها من طلبة العلوم الدينية ونسبة غيرهم ، من مرتكبي جرائم السرقة وشرب الخمر وغيرها .

هناك في هذه الطائفة ـ المعممين ـ مَنْ تسلل إليها ولا شك لكن هؤلاء ليسوا لا من أهل الصلاة ولا غيرها ، تستروا بهذا الظاهر لإستغلاله فقط ، أما أهل الدعاء والعاملون بشعائر الإسلام فليست لهم ملفات جنائية مقارنةً بالآخرين وإن كان هناك من شيءٍ فهو قليل جداً .

* الفصل بين القرآن والدعاء والحديث

للدعاء وأمثاله دخلٌ وتأثير في نظم هذا العالم ، فلا ينبغي أن يختفي الدعاء من أوساط المجتمع ، لا ينبغي لشبابنا أن يعزفوا عن الدعاء ، وليس من الصحيح الدعوة للعزوف عن الدعاء تحت شعار الدعوة لعودة القرآن ، فهذا يعني تضييع الطريق إلى القرآن ، هذه من الوساوس الشيطانية ، فالشيطان يدعو إلى ترك الدعاء والحديث لفسح المجال للقرآن

يقـول يجب أخـذ القـرآن والإعـراض عن الحــديث!! وأمثـال هؤلاء لا يستطيعون الأخذ بالقرآن ، هؤلاء الذين يقولون لنترك الدعاء ولنقرأ القرآن لا يستـطيعون الأخـذ بالقـرآن ، فهذه من وسـاوس الشيطان التي تخـدع الإنسان ، وهي من الأقوال التي تخدع الشباب .

على هؤلاء الشباب أن يلاحظوا هل أن الذين كانوا من أهل الحديث والذكر والدعاء خدموا المجتمـع أكثر أم الـذين لم يكونـوا من أهل ذلـك وكانوا يزعمون « نحن أهل القرآن » ؟! ، جميع هذه الخيـرات والمبرات التي ترونها وجميع هذه الأوقاف المخصصة لمطلق الأمور الخيرية ولإعانة الضعفاء هي من عمل هؤلاء المؤمنين من أهل الذكر والدعاء والصلاة ، لا من غيرهم .

حتى الأعيان الأثرياء الذين بنوا ـ فيما مضى ـ المدارس والمصحات وأمثال ذلك ، إنما كانوا من أهل الصلاة ، وهذا الأمـر لا ينبغي أن يغيب عن أذهـان الناس بـل على العكس يجب ترسيخـه ، يجب جعل النـاس متوجهين لله تعالى .

* الدعاء والوصول للكمال

وإذا تجـاوزنا كـل هذه الأمـور ، فـأن الأدعيـة تعين الإنسـان على الوصول إلى الكمال المطلق ، وهي تعين على إدارة وتسيير أمور البلاد ، ومرة تكون المعونة في إلقاء القبض على السارق وأخرى تكون بأن الإنسان نفسه لا يسرق ، وأهل المسجد والدعاء لا يعتدون وهذا بحدّ ذاته معـونة للمجتمع عندما يكون نصف أفراده مثلاً يجتنبـون المعاصي لإشتغـالهم بالدعاء والذكر وأمثال ذلك .

فمثلاً الكاسب يزاول كسبه دون معصية ولا سرقة ، أما قطاع الطرق

والقتلة فهم ولا شك ليسوا من أهل الصلاة والدعاء ولو كانو من أهلها لما كانوا قتلةً وقطاع طرق .

بهـذه الأدعيـة وبهـذه الأمـور الـواردة عن الله ورسـولـه تتم تـربيـة المجتمع ، إن كنتم تقرأون القرآن فهو يمدح الدعـاء ويدعـو الناس لـه : ـ **﴿ قل ما يعبأُ بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾**[1] ، إذن فالذين يدعون إلى ترك الدعاء والأخـذ بالقـرآن ، يرفضـون القرآن أيضـاً : ـ **﴿ إدعوني أستجب لكم ﴾**[2] .

أسأل الله أن يجعلنا من أهـل الدعـاء وأهل الـذكر وأهـل القرآن ، بمشيئته تعالى .

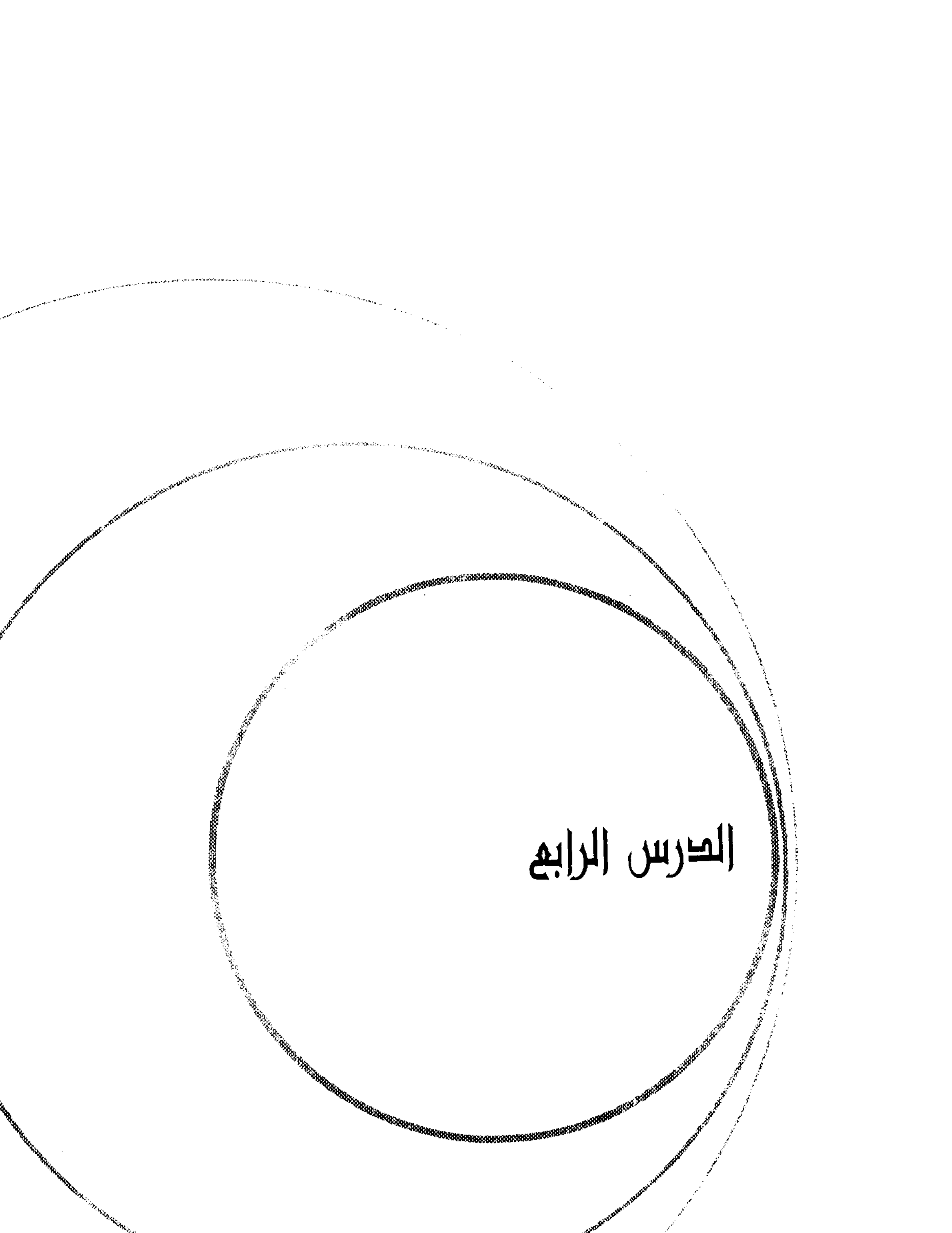
ختام الدرس الثالث من دروس التفسير لـلإمام الخميني ـ أعلى الله مقامه ـ .

---

(١) [illegible] الفرقان ، الآية٧٧

(٢) [illegible]ور[illegible] [illegible]افر ، [illegible]ا[illegible]يه [illegible] .





الدرس الرابع



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين .

« باء » البسملة ليست سببية

يُستفادُ من الأحاديث السابقة أنّ « الباء » في البسملة ليست الباء السببية ـ بالمعنى الذي يقوله أهل الأدب ـ ، فالموضوع أصلاً ليس من باب السببية والمسببية بل وإن في الحديث عن فاعلية الحق ، لا محل للعلة والمعلولية ، وأفضل تعبير عنه هو ما ورد في القرآن الكريم ، فمرةً ورد التعبير بالتجلي : ـ « تجلى ربه . . . » وأخرى بالظهور : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ ، وهذه غير قضية السببية والمسببية فهنا تمايل لايقتضي وجوده في ذات الحق تعالى مع الموجودات ، لذا يجب أن نحمل السببية على معنى موسع لكي تشمل قضية التجلي وقضية الظهور أو أن نقول أن « الباء » ليست باء السببية ، و« به » كذا وباسمِ الله كذا بظهوره ، وكذلك مع تجليه ، وكذا بالحمد بسم الله أو تجلي الله ، لا من باب أن الحمد مسبب للإسم ، ولا أتذكر أنه ورد في الكتاب أو السنة التعبير بالسببية أو العلية فهذه مصطلحات فلسفية وردت على لسان

الفلاسفة ، أما في القرآن والسنة فلم يرد التعبير بالسببية عن هذا المعنى ـ على ما أتذكر ـ بل وردت فيهما تعبيرات عنه بالخلق والظهور والتجلي .

قضية حديث النقطة تحت الباء

وهناك جنبة أخرى وفيها حديث شريف ، وهي قضية النقطة تحت الباء ، وبالنسبة للحديث ومدى صحته ، وهل أنه واردٌ أم لا ؟! لعل الشواهد تدل على عدم صحة وروده ، والحديث منسوبُ إلى الإمام علي (سلام الله عليه) أنه قال : ـ « أنا نقطة تحت الباء »[1]ولو صح فتأويله هو أنّ الباء هي بمعنى الظهور المطلق ، والتعين الأول عبارة عن مقام الولاية فلو صحت نسبة هذا القول للأمير فيكون مقصوده (عليه السلام) هو أن مقام الولاية ـ بالمعنى الحقيقي للولاية أي الولاية العامة ـ هو التعين الأول .

* الولاية الأحمدية والعلوية

الإسم هو التجلي المطلق ، والتعين الأول له هو تعين الولاية الأحمدية والعلوية وحتى لو لم يرد هذا المعنى فالقضية هي على هذا المعنى ، فهناك تجلي مطلق يكون تعينُهُ الاول هو المرتبة الأعلى للوجود وهي مرتبة الولاية المطلقة .

وهذا الإسم يكون مرةً لمقام الذات ، حيث إسمه الجامع هو « الله » والأسماء الأخرى ظهورٌ للرحيمية والرحمانية و . . . . ، وهي جميعها تجليات الإسم الأعظم .

---

(١) راجع « شرح فصوص الحكم » للقيصري (ص٣٦) الورق (١٨) من المقدمة والحديث هو بداية خطبة .

« الله » هو الإسم الأعظم والتجلي الأول ، والأسماء منها ما هي في مقام الذات ومنها في مقام التجليات بالإسمية ، وهناك أيضاً أسماء التجلي الفعلي الذي يُقال لقسم منه مقام الأحد ، وللآخر مقام الواحدية وللثالث مقام المشيئة ومثل هذه المصطلحات ، ويحتمل أن تكون مقامات الأسماء الثلاثة هي المقصودة بالآيات الأخيرة من سورة الحشر ، حيث ذكرت في آياتها الثلاثة الأخيرة بثلاثة أشكال وهي : ـ ﴿ **هو الله الذي لا إلـه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون** ﴾ ﴿ **هو الله الخالق البارىء المصور** ﴾ . . .

فالإسم في مقام الذات يناسب الأسمـاء الواردة في الآيـة الأولى ، والإسم بالتجلي الصفاتيّ يناسب الصفات الـواردة في الآية الثـانية فيمـا التجلي الفعلي ينـاسب ما في الآيـة الثالثـة : ﴿ **هو الله الخـالق البـارىء المصـور** ﴾ ، والتجلي الفعلي هـو على ثـلاثـة أنمـاط ، تجلي الـذات للذات ، والتجلي في مقام الأسماء والتجلي في مقـام الظهـور ، ولعل : ﴿ **هو الأول والآخر** ﴾ يعني وكأن الآخرين أصلاً هم نفيّاً منفياً ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ ، فكل ظهور هو وليس منه ، هو الظاهـر وهو الباطن وهو الأول وهو الآخر .

* لا فصل بين التجلي والمتجلي

هناك مراتب للتجليات ولكن ليس بحيث تكون مستقلةً عن المتجلي لا شك أن تصور الأمر صعبٌ ولكنّ تصديقه بعد ذلك يسير .

وقد يكون « الله » ، إسماً لهذا التجلي في مقام الصفات ، ولو كان كذلك يكون « إسم الله » ، « بسم الله » ، إسماً لظهور ذلك التجلي على

النحو الجمعي وهذا لا يتعارض مع كلا الإحتمالين الـذين تحدثنـا عنهما سـابقـاً بـل يسجم مـع كليهمـا ، لأن هـذه المسـائـل ليست على نحـو الإستقلال ، وكافة هذه القضايا يجب أن نمررها على نحو النقص .

وهناك قضية أخرى ترتبط بجميع هذه القضايا والمباحث وهي ، أننا نتعرف على الواقعيات ، مرةً بـالحواس التي لـدينا ، وأخـرى بما ينتـزعه العقل ويدركه منها ، وثالثة بحسب مقام القلب وما يدركه منها ورابعةٌ في مقام الشهود وأمثال هذه المعاني .

وغـاية مـا تصله إدراكاتنـا نحن هي المدركـات العقلية إمـا بالقـدم البـرهانيـة أو ما يشبـه الإستدلال ، فـالواقعيـات حسب تصورنـا هي التي نفهمها بمدركاتنا العقلية ولكن عندما نرتفع درجة عن هذه المدركات نفهم أن الواقعيات هي الذات المقدسة وتجلياتها : وبأي نحو كان إدراكنا نجد هذا .

وواقع الأمر هو أن لا مقابـل للحق تعالى ، أي ليس هنـاك موجـود مقابل ـ مستقل عنه ـ بـل إنّ مقابـل الوجـود المطلق لا معنى لـه أصلاً ، فالموجود هو الذات المقدسة وتجلياتها ، سواء التجلي في مقام الذات ، أو في مقام الصفات ، أو في مقابل الفعل ، ونفس الآيات التي نشير إليها أحيـاناً يمكن أن تكـون شاهـداً على أنّ ﴿ **هـو الأول والآخـر والـظاهـر والبـاطن** ﴾ ، فواقـع الأمر هـو أن لا مقابـل للحق تعـالى ، مـرةً نتسـاءل ـ وبحسب إدراكنا ـ ما الذي أدركناه ومـا هو إدراكنـا العقلي ؟! وهل أننـا أوصلناه إلى القلب ليصبح إسمه إيماناً ؟! أو هل تحركنا بقدم السير ليكون إسمه عرفاناً ومعرفة ، إلى غاية ما يستطيع الإنسان الوصول إليه ؟!

وتلك هي قضية إدراكنا للواقعيات على ما هي عليه ، ولكن الواقع

ـ عندما يحسب بحسب الواقع ـ فما من شيءٍ سوى الحق تعالى ، كل ما هو موجود هو والتجلي هو تجليه ، ولا يمكننا أن نجد مثالاً منطبقاً و« ظلٌ وذو ظل » ناقصٌ أيضاً .

* الذات والتجليات والبحر والأمواج

ولعل أقرب الأمثلة الموضحة هو مثال موج البحر ، فالموج ليس خارجاً ـ مستقلاً ـ عن البحر ، بمعنى هناك موجُ وهناك بحرُ ، بل هناك موج البحر ، هذه الأمواج الحاصلة إنما هي البحر يتموج ، ولكن عندما ننظر إلى الأمر بحسب إدراكنا ، نرى بحراً وأمواج البحر ، كأنه هناك بحرٌ وموجٌ ، ولكن الموج معنى عارض للبحر ، وحقيقة الأمر أن ليس هناك سوى البحر ، وموج البحر هو البحر ، وكذلك حال العالم ، فهو « موج » .

وبالطبع فهو مثال والحال هو مثلما قال القائل « حثوا التراب على مفرقي وعلىٰ مثالي »، فالأمر لا مثال له، نحن عندما نريد أن نلج في هذه المسائل نطرح حسب إدراكنا تصورات عامة من قبيل إسم الذات، وإسم الصفات وإسم الأفعال، والمقام الفلاني وهكذا، وهي نفسها مفاهيم في مفاهيم، والإدراك إدراك مفهومي .

أما المرتبة الأخرى فهي أن ندرك ما وراء هذه المفاهيم ، نثبتُ برهانياً أنّ الحقيقة هي هذه ، ولكن المنهج البرهاني عندما يستدل على أن الموجود هو الذات وتجلياتها ولا شيء غيرها ، يقول أن صرف الوجود والوجود المطلق هو الوجود الذي لا يقيد قيد ، و« أنت وجودنا المطلق » ، فلو كان له حدٌّ أو نقص فما هو بوجود مطلق ، فالوجود المطلق ليس له أي تعيّنٍ أو نقص ، وإذا كان كذلك فهو يشمل تمام الوجود ، ولكنّ « تمام »

هذه ناقصة أيضاً ، أي أنه لا يمكن أن يكون فاقداً لحيثيةٍ ما ، فجميع أوصافه هي مطلقة لا على نحو التعين ، لا رحمانية متعينة ولا رحيمية متعينة ولا الوهية متعينة .

* فقدان أي كمالٍ يؤدي إلى التعين

عندما يكون النور مطلقاً يصبح بلا تعيّن وبذلك يجب أن يكون جامعاً لكافةِ الكمالات ، لأنّ فقدان أيّ كمال يوجب « التعين » ، فلو كانت هناك نقطة نقصٍ واحدة في مقام الربوبية ، أو لم تكن هناك ولو نقطة وجود فقط ـ بل وما دون النقطة من العدم ، لخرج عن الإطلاق وأصبح ناقصاً ممكناً ولم يكن واجب الوجود فالواجب كمال مطلق وجمال مطلق .

من هنا فعندما نعتبر « الله »ـ وبحسب المنهج البرهاني الناقص ـ إسماً للذات المطلقة ولها كافة التجليات ، فيجب أن يكون جامعاً لكافة الأسماء والصفات ، جامعاً لكافة الكمالات ، كمالاً مطلقاً دون أي تعيّن ، وهذا لا يمكن أن يكون فاقداً لأي شيءٍ وإلا لم يكن كمالاً مطلقاً بل كان « ممكناً » ، والممكن هو ناقص مهما كانت درجة الكمال التي يصلها ، فبمجرد خروجه عن مرتبة الإطلاق يدخل حدود الإمكان ، الوجود المطلق واجد لكل شيءٍ ، لكل الكمالات ، البرهان يقول : « صرف الوجود كل الأشياء وليس بشيءٍ منها »[1] ، كل الأشياء لكن لا بالتعينات ، واجدٌ لكل وجود ولكن لا على نحو التعين بل على نحو الكمال المطلق .

---

(١) العبارة متكررة في معظم المتون الفلسفية خاصة مصنفات المولى صدر الدين الشيرازي ومن بعده ، راجع « الأسفار الأربعة »، (ج٦ ، ص١١٢) وما بعدها .

وحيناً يكون هذا الكمال المطلق ـ عندما نحسب واقع الأمر ـ يكون في كل الأسماء فهذه ليست مستقلة بل هي نفس أسماء الذات غير منعزلة ، ونفس الخصوصيات الموجودة في إسم « الله » موجودة في « الرحمن » فيصبح هذا كمالاً مطلقاً ، والرحمة المطلقة واجدة لجميع الكمالات وإلا لما كانت مطلقة ، ﴿ **إدعوا الله أو إدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾[1] ، سواء « الله » أو « الرحمن » أو « الرحيم » وسائر الأسماء فـ ﴿ **له الأسماء الحسنى** ﴾ وهذه موجودة أيضاً في جميع صفات الحق تعالى ، ولكونها على نحو الإطلاق فلا حدود بين الإسم والمسمى وإسم وإسم آخر ، فهي ليست مثل الأسماء التي نطلقها على شيءٍ ما بإعتبارات مختلفة .

عندما نقول « نورٌ » و« ظهور » فلا يعني ذلك أنه من جهة نور ومن أخرى ظهور ، بل إن الظهور هو عين النور ، والنور أيضاً عين الظهور ، وبالطبع فهذا المثال ناقصٌ أيضاً ، الوجود المطلق كمالٌ مطلق في كل شيءٍ مطلق ، جميع الأوصاف هي على الإطلاق بحيث لا يمكننا فرض أي شكلٍ من الإستقلالية[2] .

* المشاهدة فوق البرهان والعمى

هذا بحسب القدم البرهانية ، وهذا ما يقوله البرهان ، يُقال أن أحد العارفين قد قال : ـ « إنني حيثما ذهبت جاء هذا الأعمى بعصاه » ، ومراده

---

(١) سورة الإسراء (بني إسرائيل) الآية ١١٠ .

(٢) يقول السهروردي مؤسس فلسفة الإشراف : ـ « صرف الوجود الذي لا أتم منه كلما فرضته ثانياً فإذا نظرت إليه فإذا هو هو » التوحيد العلمي والعيني (ص١٣٩) .

هو الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا ، ومقصوده من هذا القول هو أن كل ما وجده ووصله أدركه برهانياً هذا الأعمى ولكن بعصا البرهان وصل إلى ما وصل إليه هذا العارف بقدم العرفان والمشاهدة ، وعلى هذا التفسير قالوا أن مقصوده من الاعمى هو ابن سينا .

وأصحاب البرهان ـ كما يقول ـ نحن العمي ، فعندما لا تكون مشاهدة يعني أن هناك « عمى » ، فحتى بعد أن نبرهن إستدلالياً على التوحيد المطلق والوحدة المطلقة وأنّ مبدأ الوجود هو الكمال المطلق ، فالأمر برهان أيضاً ، والمحجوبية هي خلف جدار البرهان ، والمهم أن تصل ـ بالمجاهدة والسعي ـ حقيقةُ أن « صرف الوجود كل شيء » إلى القلب فيدركها ، وحال قلوبنا كحال الطفل الذي يجبُ أن تلقنه كلمة بعد أخرى ، وعلى الذي أدرك تلك الحقائق عقلياً أن يوصلها قلبه بطريقة التلقين كلمة كلمة بالتكرار والمجاهدة وأمثال ذلك .

فاذا وصلت هذه الحقائق إلى القلب ووعاها وأدرك أن « صرف الوجود كل الكمال » فهذا هو الإيمان ، الإيمانُ يتحقق عندما يصل إلى القلب هذا الإدراك العقلي والتصورات المفهومية التي أُقيم عليها البرهان ، وعندما يصل إلى القلب هذا المعنى القرآني البرهاني ويُقرأ بالقلب ما قرأه بالعقل ، وعندما يعلم القلب ذلك بالتكرار والرياضات والمجاهدات ، عندها يؤمن القلب بأنّ « ليس في الدار غيره ديّار »[1] ، ولكن هذه أيضاً هي مرتبة من الإيمان ، بل وحتى مرتبة ﴿ **ليطمئن**

---

(١) راجع (ص١٤٧) من رسالة لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب (بالفارسية) وهي تقديرات السيد الطمراني لدروس استاذه العلامة الطباطبائي ـ قدس سره ـ في العرفان .

قلبي ﴾[1] هي غير تلك التي كانت للأنبياء ، فقد كانت لهم قدم المشاهدة وهي فوق ذلك ، لهم مشاهدة جمال الحق تعالى ﴿ **تجلى ربـه للجبل** ﴾ تجلى لموسى الذي كانت له محطات ، ثلاثون ليلة في البداية ثم أصبحت أربعين وجاءت بعدها تلك الوقائع بعـد أن رحل عن منـزل شعيب « والد زوجته » وسار بأهله قال لهم : ﴿ **إني آنست ناراً** ﴾[2] ، هو أدرك هذه النار أمـا أهله فلم يروهـا أصلاً ، بعـد ذلك ذهب إليهـا : ﴿ **لعلي آتيكم منها بقبس** ﴾[3] ، وعندما إقترب منها ، جاء النداء ﴿ **إني أنـا الله** ﴾[4] ، هذا النداء جاء من نفس تلك النار التي كانت في الشجـرة ، وقدم المشـاهدة يعني أن مـوسى شاهـد ما ذهب إليـه ذاك الأعمى بالعصـا وذاك العـارف بالقلب .

هـذه كـأقـوال نحسنُ التحـدث بهـا نحن ، وأنتم تستمعـون إليهـا بآذانكم ، ولكن الحقائق هي أسمى ، ﴿ **إني أنا الله** ﴾ ، والنور الذي كان في الشجـرة ، هـذا النـور لم يكن يستـطيـع رؤيتـه سـوى مـوسى (عليـه السـلام) ، مثلما هـو الحـال مـع الـوحي الـذي كـان ينـزل على رسـول الله (ص) ، فمن ذاك الذي كان يستطيع أن يفهم ما هو هذا الوحي ؟! وما هـو أصله ؟! ، والقـرآن الـذي نـزل على قلب رسـول الله دفعـةً واحـدةً جميعه ، ما هو ؟! فلو كان هو هذا القرآن ذي الثلاثين جـزءً فنزولـه دفعةً واحدة على قلب عادي أمرُ محال .

---

(٢) إشارة إلى قصة دافع إبراهيم (عليه السلام) من ربه مشاهدة إحياء الموتى وتقطيع الطير وإحيائه المذكورة في القرآن .

(٣) سورة طه مقاطع من الآية١٠ .

(١و٢) سورة طه مقاطع من الآية١٠ والآية١٤ .

القلبُ بابُ أخرى ، والقرآن حقيقة وهي تـردُ إلى القلب ، القرآن سرٌ ، وسرُّ السر ، وسرٌّ مستترٌ بسرٍّ ، وسـرٌّ مقنع بسـر ، ويجب أن يتنزل وينزل إلى الإسفل ويتنـزل حتى يصل إلى هـذه المراتب النـازلة ، وحتى وروده على قلب رسول الله كان تنزلاً ، تنزّل حتى دخل القلب ، ومن هناك يجب أن يتنزل أيضاً إلى أن يصل إلى حيث يفهمه الآخرون أيضاً ، وهكذا حال الإنسان ، فهو أيضاً سرٌّ وسرٌّ وسر ، نحن نرى من الإنسان هذا الشيء الموجود ، حيوانٌ ، هذا الحيوان الموجود ولا غير ، بل وهو حيـوانٌ أسوأ من سائر الحيوانات ، ولكنْ له خصوصية هي إمكانية وصوله إلى الإنسانية وإلى مراتب الكمال والكمال المطلق حتى إلى حيث لا تصل أوهامنا ، ثم ينعدم .

* ما ندركه هي الأَعراض

كل ذلك سرٌّ وأسرار ، والظاهر هـو هذا ، وفي عـالم الطبيعـة هذا أيضاً سرٌّ ، هناك مسألة وهي أنكم لا تستطيعون فهم ماهية الإجسام ، ولا نحن نستطيع ذلك ، ولا نستطيع إدراك « الجواهر » ، وكل مـا ندركـه هو « الأَعراض » ، عيوننـا ترى الألـوان وما شـابه ، آذاننـا تسمع الصـوت ، وحاسة الذوق تدرك الطعم ، وحاسة اللمس تدرك الظواهر ، ولحل ذلك أعراض ، وعندما يريـدون تعريف جسمٍ مـا يقولـون أنه الشيء الـذي له عرض وعمق وطول وهذه هي من الأعراض أيضاً .

الذي له جاذبية فمن الأعراض ، إذْ كل ما تريدون تعريفه به أوصاف الأعراض ، إذن فأين هو الجسم ؟! الجسمُ أيضاً هو سر إذن ، الـظل هو سر ، فظل نفس الأحدية هو الأسماء والصفات أيّاً كانت ، فالمعلوم لنا هو الأسماء والصفات أما نفس العالم فهو غيب ، أسماءُهُ وصفاتُهُ ظاهرة ولكنه

نفسه غيب ، ولعل إحدى مراتب « الغيب والشهادة » هو أنّ لعالم الطبيعة أيضاً غيبٌ وشهادة ، فغيبُهُ ما غاب عنا فلا نستطيع أن ندركه بحال إذْ أنّ أي شيءٍ تريدون تعريفَهُ إنما تعرّفونه بالأوصاف والأسماء والآثار وما شابه ، فأيّ سبيل لتعريفكم له غير هذه ؟!

ناقصٌ هو إدراك الإنسان لظل السر المطلق ، إلا إدراك مَن وصل بقدم الولاية إلى حيث يدخل قلبه تجلي الحق تعالى بكافةِ أبعاده ، وهذا السر موجودٌ في كل شيءٍ ، أي أنّ الغيب والشهادة يسريان في كل مكان .

* سعة عالم الغيب

في وقتٍ ما كان يُقال أن عالم الغيب هو ـ مثلاً ـ عالم ملائكة الله ، عالم العقول ونظائر هذا التفسير ، ولكن لنفس هذه العوالم سرّاً وظاهراً ، ظهوراً وبطوناً ، وهذا نفسه في : « هو الظاهر والباطن » ، فهناك بطونُ في نفس الشيء الذي ظهر فيه ، وفي نفس هذا البطون ظهور ، وعلى هذا فإن جميع أسماء الحق تعالى واجدة لجميع مراتب الوجود ، فكل إسمٍ هو جميع الأسماء ، فالأمر ليس أن الرحمن صفةً واحدة أو إسماً واحداً ، والرحيم إسم مقابل وكذا الحال مع المنتقم ، فهذه لو كانت من الأسماء فجميعها حاويةً لكل شيءٍ : ـ ﴿ **أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ فجميع الأسماء الحسنى موجودة في الرحمن وموجودة في القيوم وفي الرحيم ، وليس الحال أن أحدها يحكي شيئاً ما والآخر يحكي عن شيءٍ آخر ، فذلك يعني أنّ يكون الرحمن حاكيا لحيثيةٍ ما موجودة في ذات الحق تعالى ، وغيره يكون حاكياً لحيثيةٍ أخرى ، وبذلك تكون ذات الحق تعالى مجمعاً للحيثيات ، وهذا محالُ في الوجود المطلق ، الوجود المطلق هو رحمن بوجوده المطلق ، ورحيمٌ بوجوده المطلق ، رحمنٌ بتمامِ

الـذات ، ورحيم بتمـامِ الـذات ، ونـورٌ بتمـام الـذات ، و« الله » بتمـام الذات ، فلا تكون رحيميته شيئاً ورحمانيته شيئاً آخر .

أولئـك الذين يسمـون علواً بقدم المعـرفـة حتى يصلون إلى حيث تتجلى الذات بتمام التجليات ، وبالطبع ليس الذات بل على نحو التجلي في قلوبهم ، وقلوبهم ليست من هـذه القلوب ، بل القلب الـذي يدخله القرآن ، القلب الذي فيه مبدأ الوحي القلب الذي يتخذه جبرائيل منزلاً ، في هذا القلب تتجلى الذات بذاك التجلي الجامع لكافـة التجليات وهـو نفسه الأسم الأعظم والمتجلي بتجلي الإسمِ الأعظم ، والأسم الأعظم هو نفسه : ـ « نحن الأسماء الحسنى »[1] .

الإسم الأعظم هو نفس رسول الله ، وهو أعـظم الأسماء في مقـام التجلي .

* وجوداتنا تجليات

وعلى ما تقدم ، فالذي جرى الحديث عنـه الليلة : هو أولاً قضيـة السببية فيجب أن لا نعتبرها في موضوع الحديث مثل سائر أشكال السببية ولا يمكننا أن نشبهها بمثـالٍ ما إلا على بعض الأمثلة البعيـدة ، هذا أولاً وثانياً أن حديث نقطة الباء لو صحت نسبته ـ يعني ما أوضحت تأويله آنفاً ، وثالثاً أن الإسم هو بمراتب إسم الذات ، فإسمٌ في مقام الصفات ، وإسم في مقام التجلي الفعلي ، تجلي الذات على الذات ، وتجلي الذات على الصفات وتجلي الذات على الموجودات وليس التجلي على الموجودات ، تجلي نقولُ أذا أردنا تفسيره أن وجوداتنا هي تجلي ، نورٌ متكثر في المرايا

---

(١) تقدم ذكر مصدره .

(والمثال هنا بعيد أيضاً) ، وأما إذا وضعتم هنا مائة مرآة ينعكس فيها هذا النور أو نور الشمس ، فستقولون بإعتبار واحد مائة نور ، النور نور المرآة ، ونور المرآة هو نفس ذلك النور إلا أنه محدود ، مائة لكنها نفس هذا النور ، نفس تجلي الشمس هذا ، فنور الشمس يظهر في مائة مرآة ، والمثال كما قلت بعيد .

* التعين لازمة التجلي

تجلي الحق تعالى موجود في هذه التعينات ، ولكنّ ذلك لا يعني أن هناك تعيّناً ونوراً ، بل إن النور عندما يتجلى فيكون التعين لازمه ، وعليه يكون الإسم في ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ هو إسم مقام الذات ، وإسم « الله » هو ظهور الذات بجميع التجليات ، إسم نفس هذا الظهور والتجلي الجامع وكذلك الرحمن والرحيم فهي ظهورات لهذا التجلي الجامع أيضاً ، لا بمعنى أنّ رحمانه شيء ورحيمه شيء آخر ، بل إعتبروا أن الله ، والرحمن والرحيم هي ثلاثة أسماء لشيءُ واحد ، كلها تجلي واحد لجميع الذات ، فالله تجلي بتمام الذات وكذا الرحمن وكذا الرحيم ، وغير ذلك محال وإلا كان محدوداً ممكناً .

وعلى أساس ذاك الذي تحدثنا عنه حول أن التعلق هو بالحمد ، يكون أيضاً الإسم الإلهي الجامع للظهور « الله » حاوياً للرحمن والرحيم بذاته ، فتقع له جميع المحامد أو الحمد المطلق (على ضوء الإحتمالين المذكورين سابقاً) ، كما نعتبر الإسم ، والله ، تجلياً جامعاً في مقام الصفات ، الإسم هو التجلي الجامع في مقام الصفات ، تلك المشيئة المطلقة التي يقع بها كل شيء ، وبإسم « الله » نعتبر « الله » تجلياً جامعاً في مقام الفعل ، إسمه نفس الحقيقة في مقام الظهور كوصف الله بالرحمن

والرحيم وكل واحدٍ من هذه الأسماء يكون الكـلام فيه على نمطٍ خـاصٍ عندما ننظر إليه في الآية الكريمة .

وإلى هنا نكون قد تحدثنا عن إسم « الله » هو الاسم الجامع ومقام الذات ومقام الصفات ومقام التجلي بالفعل ، في الآية الكريمـة وتحدثنـا عن الإسم وعن « الله » وعن الباء في البسملة وعن نقطتها ، وهناك فيمـا يتعلق بالرحمن والـرحيم ، مسائـل يجب أن نمر عليهـا بصورةٍ مختصـرةٍ سـريعـة ، والـرجـاء أن نصـدق بـوجـودهـا ، فبعض القلوب منكـرة من الأساس ، وبعض الأشخاص ينكرون كافة قضايـا المعارف ، فـالذي في المنـزل الحيواني لا يستـطيع أن يصـدق أن هناك شيئـاً وراء هذا المقـام الحيواني .

* عدم الإنكار هو الخطوة الأولى

يجب أن نصـدق بتلك الحقائق ، والخـطوة الأولى للإنسـان الذي يريد أن يحدثَ تحركاً في نفسه هي عدم الإنكار ، لا ينبغي لـلإنسان أن ينكر كلّ ما لا يعلمه ويبدو أنّ الشيخ الرئيس ابن سينا هو صاحب القول بأن المنكر لشيءٍ دون برهان خارج عن فطرة الإنسان ، فمثلما أن إثبات شيءٍ ما يحتاج إلى برهان كذلك الحال مع النفي فهو يفتقر إلى برهانٍ أيضـاً ، فمرةً تقول لا أعلم واخرى تنفي ، هناك أشخـاصٌ قلوبهم فيها جحـود ، فهي مُنِكرة تنكر كلّ شيء لكونها لا تستطيع فهمه ، وأصحـابها يخـرجون بهذا الجحود عن الفطرة الإنسانية ، فالإنسان يجب أن يكون قبوله لفكرةٍ ما مستند إلى برهان وكذلك نفيه لها عن برهان ودليل ، فإن لم يكن لديه برهان على النفي أو الأثبـات فعليه أن يقـول : لا أعلم ، أو : قد تكـون الفكرة صحيحة ، كل ما تسمعه إحتمل صحته « كل ما قرع سمعك ذره في

بقعةِ الإمكان »(١)، فقد يكون صحيحاً أو غير صحيح فلماذا الإنكار ؟!

إن علمنا لا يصل إلى ما وراء هذا العالم ، وما توصلنا لـه من هذا العالم فهو ناقصُ أيضاً ، فلا زالت المجاهيل كثيرة ، وإلى ما قبل قرن من الزمان كـانت هناك الكثيـر من المجهولات التي أصبحت اليـوم معلومة ، وستتضح مستقبلاً غيرها .

فاذا كُنا لم نستطع أن نفهم هذا العالم ولم يستطع الإنسان أن يعرفه فما هو مبـرر إنكاره لمـا عند الأوليـاء ؟! ، هذا القلبَ قلب « إنكـاري » محرومُ كليّاً من دخول الحقائق والأنوار إليه ، ولهذا فالذي لا يعلم يُنكر ولا يقول : لا أعلم ، فيصف ما يقوله أهل المعرفة بأنه نسيج أوهام ، وسر قوله ذلك هو كونه محرومٌ إذْ أنَّ ما يصفه بأنه « نسيج أوهام » موجود في القرآن والسنة فلماذا ينكره الإنسان ؟! .

* إنكار المجهول نمطٌ من الكفر

هذا الإنكار هو مرتبة من مراتب الكفر ـ ليس الكفر الشرعي ـ مرتبة من الكفران ، فإحدى مراتب الكفر أن ينكر الإنسـان ما يجهله ، وجميـع مصائب الإنسان ناشئة من هنا ، من لجوئه إلى جحود سلسلة من الحقائق الواقعية لكونه لا يستطيع أن يدركها ، من جحوده لما لدى أولياء الله لكونه لا يستطيع الوصول إليه .

هـذا الكفر الجحـودي هو من أسـوأ أقسام الكفـر ، والقدم الأولى لحركة الإنسان هي أن لا يجحد الحقـائق الواقعيـة الموجـودة في الكتاب والسنة ، والتي يقول بها الأولياء ، وكذلك العرفاء والفلاسفة حسب سعـة إدراكهم ، فعلى الإنسان أن لا يجزم بعدم ما لا يـدركه ، جحـودٌ هو ولا ريب قلبُ ذلك « الرُجيل » الذي يريد وضع الله تحت سكاكين التشـريح

ويقول : « لن أؤمن بالله ما لم أشرحه بهذه السكين التي أشحذها » .

الخطوة الأولية هي أن لا ننكر ما قاله الأنبياء والأولياء ، فلو أنكرنا لن نستطيع أن نخطو الخطوة الثانية ، فالإنكار يمنع الإنسان من الحركة ، والمنكر لوجود شيءٍ لا يراه ، لن يستطيع متابعة السير ، فعلى مَن يريد التحرك للخروج من هذه الظلمات أن يحتمل صحة تلك الأقوال ولا ينكرها وإلا بقي خلف جدار الإنكار إلى النهاية ، عليه أن يسأل الله أن يفتح له باباً للسير ، فهو فتاح الأبواب ، عليه أن يسأل الله أن يفتح له سبيل الوصول إلى ما يجب عليه الوصول إليه .

* الله لا يخيب من سأله

فاذا إجتنب الإنكار وسأل الله أن يفتح له سبيلاً ، تفتح له بعض السبل ولن يخيبه الله ، ورجائي أن نخرج نحن من دائرة الإنكار ، فلا ننكر ما ورد في القرآن والسنة ونحن ندعي الإعتقاد بهما ، ما لا يدركه عقله من القرآن والسنة لا ينكره فيهما مباشرة ولكن إذا صدر بلسان إنساني لشخصٍ آخر يستفرد بهذا المسكين ويصف قوله بأنه « هرطقة » ولا يقول أنه هو الذي لا يعلم .

ومثل هذا الإنكار يحرم الإنسان من الكثير من الحقائق ، فهو يصده عن السبيل الذي يجب للإنسان أن يسلكه ويمنعه من دخول هذا السبيل أصلاً .

إنني أخاطب الجميع أن إحتملوا الصحة فيما وصل إليه الأولياء ، قد لا يقول صراحة بين الناس بإحتمالِ الصحة هذا ولكن المهم أن لا ينكر هذه الحقائق أصلاً ويقول إنها هرطقة ، فمثل هذا المنكر لا يفلح بعد ذلك بسلوك الطريق أبداً ، فإن أراد الفلاح في السلوك فعليه أن يستأصل

الجحود من قلبه ويزيل هذه العقبة من طريقه .

أرجوا أن نفلح في إستئصال حجاب الجحود من قلوبنا ونسأل الله تبارك وتعالى أن يعرفنا لغة القرآن ـ هي لغة خاصة ـ نسأل الله أن يوفقنا للتعرف على اللغة التي نزل بها القرآن .

* القرآن مائدة عامة

القرآن يشبه الإنسان في كونه موجود لديه كل شيء ـ والمقصود هنا هو الإنسان الإنسان بالفعل ـ ، القرآن مائدة أعدها الله لجميع البشر ، سفرة واسعة يتناول منها كلٌّ إنسان حسب رغبته ما لم يكن مريضاً ينعدم عنده الإشتهاء ، الأمراض القلبية تعدم في الإنسان الرغبة في الأكل ، فاذا كان الإنسان غير مريضٍ وكانت له رغبة داخلية إنتفع من القرآن الذي تتسع سفرته للجميع ، مثلما هو حال الدنيا فهي كسفرةٍ كبيرةٍ ينتفع هذا من فاكهتها وذاك من علفها وهكذا ، الإنسان ينتفع منها بطريقةٍ ما والحيوان بطريقةٍ اخرى ، والإنسان في مقام الحيوانية بطريقةٍ معينة ، وكلما سمى أكثر إنتفع أكثر من هذه السفرة الإلهية وهي عبارة عن الوجود ، ونفس الأمر يصدق على القرآن فهو سفرة عامرة تسع الجميع وكلٌّ ينتفع منها قدر رغبته وعبر السبيل الذي وجده ، والدرجة العلمية الأعلى هي للذي نزل عليه ، « إنما يعرف القرآن مِنْ خوطب به » .

لكن لا ينبغي لنا اليأس والقنوط ، بل علينا الحصول على منافع من هذه السفرة وأولى هذه المنافع أن نطرد من أذهاننا وهم عدم وجود غير هذه القضايا الطبيعية وفكرة أن القرآن تنزل لإيضاح هذه القضايا الإجتماعية والطبيعية والحياة الدنيوية فقط ، ففي هذه الفكرة إنكار لجميع النبوات ، إن الغاية التي تنزل من أجلها القرآن هي صنع الإنسان وجعله « إنساناً »

وجميع تلك القضايا هي وسائل لتحقيق هذه الغاية .

كافة العبادات والأدعية هي وسيلةُ لإظهار « لباب » الإنسان ، وتحويل ما لديه بالقوة ـ وهو لبّ الإنسان ـ إلى دائرة الفعل وبذلك يصبح الإنسان بالقوة إنساناً بالفعل ، يصبح الإنسان الطبيعي إنساناً إلهياً بحيث تكون كافة أبعاده إلهية ، فكل ما يراه هو الحق .

ولأجل هذه الغاية كانت بعثة الأنبياء ، فهم لم يأتوا للحكومة بذاتها ولا لإدارة وتسيير الأمور الدنيوية ، فللحيوانات أيضاً دنيا يسيرون شؤونها .

ومفهومٌ أنّ إقامة العدالة الإجتماعية إنما تكون بأيدي الأنبياء ـ وبحث موضوع العدالة هو بحث في صفة للحق تعالى عند أهل البصيرة ـ كما أنهم يقيمون الحكومة العادلة أيضاً ، ولكن الغاية ليست كل ذلك بل كل ذلك وسائل لإيصال الإنسان إلى المراتب السامية ، وهذه غاية بعثة الأنبياء .

نسأل الله تعالى التأييد في أمورنا كافة .

ختام الدرس الرابع من دروس التفسير للإمام الخميني ـ أعلى الله مقامه ـ



الدرس الخامس



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين .

قبل أن أتابع الحديث حول موضوع البحث ، يجب أن أبين نقطةً قد تكون نافعة وضرورية وهي أن علة وقوع الإختلاف ـ أحياناً ـ بين أهل الرأي والعلم هي أنهم لا يعرفون لغة كلٍّ منهم ، فلكل طائفةٍ منهم لغة خاصة بها .

ولا أدري هل سمعتم قصة مثل العنب بين أولئك الأصدقاء الثلاثة الذين كان أحدهم عربياً والآخر فارسياً والثالث تركيّاً ، فقد كانوا يتناقشون حول ما يعدونه من طعام لوجبة الغداء ، فقال الفارسي ليكن « أنكور » ، وقال العربي : كلا كلا ليكن طعامنا « عنباً » ، فأجاب التركي : لا نريد ذلك بل لنأكل « أوزوم »[1]، لقد وقع الإختلاف بين هؤلاء لكونهم لا يعرف أحدهم لغة الآخر وتكملة قصة المثل هي أنّ أحدهم ذهب وأتى

(١) الـ« أنكور، أوزوم » تعني العنب بالفارسية والتركية .

بالعنب فعرف الجميع أن مقصودهم واحد .

المقصود واحد وإن إختلفت الألسنة ، الفلاسفة لهم لغة خاصة ومصطلحات خاصة بهم ، وكذلك الحال مع كلِّ طائفةٍ ، وعلينا أن ننظر أيّاً من هذه الطوائف الثلاثة أو الأربعة المختلفة فيما بينها ، تكون لغتها أقرب إلى لغة أهل بيت العصمة ، وإلى لغة الوحي .

المقصود واحد ، ولا أظنُ أن هناك أيّ إنسانٍ عاقل موحد يخالف الإعتقاد بوجود الحق تعالى وكونه مبدأ جميع الموجودات وهي معلولة لمبدأ الوجود ، ولا أحد يقول بأنكَ بهذا القميص والسروال أنت الله ، وما من عاقل يتصور أن فلاناً بعمامته ولحيته وعصاه هو الله ، فهذا مخلوق ولا إشكال ولا شبهة في ذلك ، ولكن يقع الإختلاف في التعبير عن العلة والمعلول ، وعلينا أن نعرف ما هي طبيعة إهتمام طائفة العرفاء مثلا ليكون تعبيرها عن الأمر بالصيغة الفلانية وما الذي دفعهم إلى هذا الشكل من التعبير ؟! .

* مصالحة بين الطوائف وأشكال التعبير

وأنا الآن وحيث أريد إقرار الصلح بين تلك الطوائف وأقول أن مقصودهم واحد ، فلا أقصد تنزيه كافة الفلاسفة أو كافة العرفاء أو كافة الفقهاء ، كلا القضية ليست هذه ، فـ« ربما تكون خرقة الزهد مستوجبة للنار »[1] ، ولعل صاحب الدكان يطلق بعض الأقوال بما يناسب تسيير أمور دكانه ، إن ما أريد قوله هو أن هناك بين هذه الطوائف الكثير من

---

(١) تعريب جزء من بيت شعر بالفارسية للشاعر الإيراني الشهير حافظ الشيرازي وفيه يشير إلى عدم صدق وصفاء كل من الصوفية وإن بينهم من يستحق النار .

المنـزهين والإختلاف الحـاصل هـو إختلاف مـدرسيّ كالاختـلاف الذي حصـل في مدرسـة بين الاصولي والإخبـاري والذي وصـل حد أن ينعتَ الإخبـاريُ الإصوليَ بـالكفر ـ أحيـانـاً ـ فيمـا الاصـولي ينعت الإخبـاري بـالجهـل ، رغم أن مقصـودهمـا ليس إثنين مثلمـا أنهمـا أنفسهمـا ليسـا « إثنين » .

على أي حال فحديثنا هو في إختلاف اللغة والمصطلحات ، فئةٌ من الفلاسفة يستخدمون مصـطلحات أمثـال « علة العلل » و« المعلول الأول والثاني إلى آخره » و« العلية والمعلولية » ، و« السببية والمسببية » و« المبدأ والأثر » وأمثال هذه المصطلحات وهي مصطلحـات جافـة خاصـة الواردة لدى فلاسفة قبل الإسلام .

الفقهاء أيضاً لا يحجمون عن إستخدام مصطلح العلية والمعلولية ، كمـا يستخدمـون أيضاً مصـطلح الخالق والمخلوق ولا بـأس بـه أيضـاً ، ولـطائفة من أهـل العرفـان مصطلحـات اخرى تختلف عن السـابقـات ، كمصـطلحات « الـظاهر والمـظهر والتجلي » ونـظائر ذلـك ، فما هـو سر إستخدامهم لأمثال هذه الأشكال من التعبير ؟! ولماذا نجدها هي بالذات الـواردة في أحـاديث أئمتنـا (عليهم السـلام) ، فـلا أتـذكـر أبـداً ورود مصـطلحـات العليّـة والمعلوليّـة والسببيـة والمسببيـة وأمثـالهـا في أحاديثهم (عليهم السلام) بـل وردت استعمالات الخـالقية والمخلوقيـة ، التجلي ، الظاهر والمـظهر وأمثـالها ، علينـا أن نفكر في سـر تجلي أهل العرفان عن مصطلحات الفلاسفة مثـلاً أو عما يستخـدمه عـامة النـاس ، ولماذا قالوا بمصطلحاتٍ اخرى رغم أنها سببت إثارة إشكالات أهل الظاهر ضدهم ، لنناقش الأمر : ـ

* إشكالية التعبير بالعلة والمعلول

في مفهوم العلة والمعلول يكون هناك موجودٌ هو العلة وموجودٌ آخر هو المعلول ، فهنا تكون العلة في جهة والمعلول في جهةٍ أخرى فماذا يعني هذا ؟! إنه يعني أنهما مختلفين مكانياً ، مثل الشمس ونورها ، فللشمس نفس هذا النور ، ولكنه صادرٌ عنها ومظهر لها ، ولكن على نحو تكون الشمس فيه موجوداً في مكان معين ، والنورُ موجوداً آخراً في مكان آخر رغم أنه أثرها ومعلولها ، فهل هذه المعلولية والعلية نسبة إلى ذات واجب الوجود ، هي على غرار المعلولية والعلية في عالم الطبيعة ؟! أي هل أنها مثل كون النار علة للحرارة والشمس علة للإنارة ، في حين الأثر هنا أثرٌ مستقلٌ حتى مكانياً عن العلة فلكل منهما مكان ؟!

* إشكالية التعبير بالأثر والمؤثر

الأثر والمؤثر في الطبيعة غالباً ما يكونان منفصلان من جهةِ البعد المكاني ، فهل يمكن أن نقول بمثل هذا الفصل بالنسبة للمبدأ الأعلى عن الموجودات الأخرى في البعد المكاني والبعد الزماني ؟! لقد قلتُ سابقاً أن من الصعب للغاية تصور طبيعة الحالة الوجودية للموجود المجرد ، خصوصاً مع المبدأ الأعلى حيث لا يمكنك التعبير بأي شيءٍ عنه ، فكيف هي هذه الإحاطة القيومية من قبل الحق تعالى للموجودات ؟! ما هي كيفية ما يقوله القرآن من أنّ ﴿ **هو معكم أينما كنتم** ﴾[1] فهل أن المعية الآدمية هي من هذا القبيل ؟!

---

(١) سورة الحديد الآية٤ .

* الأقرب للواقع وليس الواقع

إن إختيار تعبيرات من أمثال « هو معكم » ، هو بسبب عدم القـدرة على التعبير عن الواقع ، فاختاروا التعبير الأقرب في إيضاح الواقع ، مثلما أن الكتاب والسنة إستخدما التعبيرات الأقرب في إيضـاح الواقـع ، إذ لا يمكن فهمـه ، تصور القضيـة أمرٌ غـاية في الصعـوبـة ، قضيـة المخلوق والخالق ، حسناً نحن مخلوقات الخالق ولكن ما هي وضعية البُعد المكاني في هذه العلاقة وما هي كيفيتها ؟! هل هي مثـل كيفية النـار مع أثـرها ، والنفس وهذه العين والأذن وقوى الحواس ؟! قد تكون هذه الأخيرة أقرب من البقية لواقع تلك العلاقة ولكنها أيضاً ليست هي .

الإحاطة هي إحاطة قيومية ولضيق الخناقِ ـ في التعبير ـ يجب القول أنّ الإحاطة القيمومية للحق تعالى تجاه جميع الموجودات هي بحيث أن لا مكـان للموجـودات إلّا وهو مـوجـود : ـ « لـو دليتم بحبـل إلى الأرضيين السفلى لهبطتم إلى الله »[1]

الذين عبّروا عن المعنى بهذا القول أو بقولهم أن الشيء الفلاني هو الحق تعـالى ليس مرادهم أن هـذا الإنسان الممكن الـوجـود ذي العبـاءة والعمامة هو الحق تعالى ، فما مِن عاقل يقول بذلك ، بل إنّ المراد هـو التعبيـر الأقـرب في تبيـان القضيـة وطبيعـة العـلاقـة بين الحق تعـالى والمخلوق ، هدف هذا التعبيـر هو تقـريب كيفية العـلاقة إلى الأذهـان ، ولكن يصل الأمر بـالإنسان إلى الغفلة وعـدم التوجـه عن ـ ظواهـر ـ هذه

(١) حديث مروي عن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) راجع مصباح الهدايـة إلى الخلافة والولاية ، تأليف الإمام الخميني (ص٩٩) .

القضايا فيقول بأن الشيء الفلاني هو الحق تعالى وكل شيءٍ هو ، ولكنه لا يريد أن يقولَ هذا هو الحق تعالى ، ولهذا ترون أن الفلاسفة الاسلاميين يقولون : ـ « صرف الأشياء كل الأشياء وليس بشيءٍ منها »

ظاهر العبارة متناقض ، ولكنه المراد منها هو ، أن لا نقص في صرف الوجود وهو واجدٌ لكل سنخٍ من الكمال فيما الموجودات كافة ناقصة ، إذن فـ« ليس بشيءٍ منها » إذا كان المراد موجوداً آخر إذْ يكون ناقصاً ، والموجود التام هو الذي لا نقصان فيه وإذا كان كذلك فلا يمكن أن يكون فاقداً لأي كمال ، كل كمال وفي أي موجود كان إنما هو من رشحاته وتجليه وما دام من تجليه فهو موجود في الذات على نحو البساطة ، الذات كل الكمال .

« كل الأشياء » يعني « كل الكمال » ، و« وليس بشيءٍ منها » يعني أنْ لا نقص فيه أصلاً ، وليس المراد من « صرف الوجود كل الأشياء » هو أن تكونوا أنتم صرف الوجود ، ولهذا تقول العبارة « ليس بشيءٍ منها » المراد هو أنه تمام الكمال وحيث أنّ ما من موجودٍ يكون تمام الكمال ، لذا فليس بشيءٍ من الموجودات فعبّروا عن هذه الحقيقة بتلك الصورة .

إحدى سبل تفسير تلك العبارة هي ما عمد إليه مَنْ لا إطلاع له على هذه القضايا فقال إن ما قالوه هو من باب أن « عديم اللون أسير اللون » ، في حين أنّ هذا الشعر لا يرتبط بهذا الموضوع أصلاً ولم يلتفتوا إلى عدم إرتباطه بواقع « الحقيقة » بل هو مرتبطُ بحالة النزاع التي تنشب بين إثنين فلم ينتبهوا إلى المقصود من هذا الشعر فقالوا إنّ ذاك كفر ، في حين أنه لا يرتبط بهذه القضية بل بقضية أخرى هي سرّ كل هذه الحروب والنزاعات التي تقع في العالم .

* دوافع النزاعات

لماذا تقع الحروب ؟! وما هي دوافعها ؟ ، التعبير باللون في هذا الشعر هو عن التعلق والإرتباط وهو مستخدم بهذا المعنى في موارد أخرى كقول أحد الشعراء « متحررٌ هو من لون قبول التعلق » هذا اللون وعديم اللون يعني أن لا يكون متعلقاً بشيءٍ من الطبيعة ، وإذا كان كذلك فلن يقع النزاع ، فكافة أشكال النزاع الواقعة ناشئة من هذا التعلق بالطبيعة التي يريدها كل إنسان لنفسه بحكم تعلقه بها ، فهذا يريدها له وذاك كذلك فيقع النزاع في كل شأنٍ من الشؤون ، فما يريد أن يقوله هذا الشاعر هو أن لا لون في الفطرة السليمة وعندما يكون هناك صدأ التعلّق فلا نزاع .

لو كان فرعون مثل موسى (عليه السلام) غير متعلق بالدنيا لما حدث كل ذلك النزاع ، ولو إجتمع الأنبياء كلهم في محلٍ واحد لما حدث نزاع بينهم أبداً كل هذه النزاعات هي بسبب أشكال التعلق : ـ « عديم اللون أصبح أسير اللون » .

الفطرة السليمة التي لا لون فيها لاتعلق فيها ، ولكن عندما يصبح الإنسان أسير التعلق يقع النزاع فاذا زال هذا اللون والتعلق تصالح موسى وفرعون أيضاً .

هذا الموضوع غير الأول والذي أشكل به على أصحاب تلك الأقوال ، لم يلتفت إلى أن هذا الشعر ومعناه مرتبطٌ بنزاعٍ بين إثنين ولا علاقة له بأصل الموضوع المتقدم .

* تعبيرات الأئمة وإقتباس العرفاء

لاحظوا أشكال التعبير الواردة في أدعية الأئمة (عليهم السلام) فهل

أنها تختلف عن تلك التي يستخدمها أولئك ـ العرفاء ـ والتي أدت بالبعض إلى الذهاب إلى حدّ التكفير بسبب عدم إلتفاتهم إلى مراد القوم ؟! وهذا الباب هو أيضاً باب مرتبة سير الانسان نفسه .

في المناجاة الشعبانية وهي المناجاة التي كان يقرأها جميع الأئمة ـ حسبما ورد في الروايات ، ولم أرَّ في الروايات غيرها دعاءً له هذه الميزة ـ ورد : ـ « إلهي هبّ لي كمال الإنقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك ، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعزِّ قدسك ؛ إلهي واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك . . »[1] فما هي هذه المعاني والتعبيرات ؟! وما معنى هذه التعبيرات التي يقولها السادة والواردة في كلماتهم الأخرى ؟! ماذا يعني « كمال الإنقطاع إليك » ؟! وماذا يعني طلب جميع الأئمة له ؟! ، الإمام المعصوم يطلب كمال الإنقطاع من الله رغم أنه ينبغي أن يكون حاصلاً له في سيره لكنه يطلبه من الله فما يعني ذلك ؟! ، وما هي أبصار القلوب هذه التي يطلب من الله إنارتها ؟! « وأنر أبصار قلوبنا » ، كيف يريد بالبصر النظر إلى الحق تعالى ؟! ما هو هذا القلب وما هو بصره بحيث يكون يهذا البصر القلبي نظره إلى الله تعالى ثم : ـ « أنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك » ، الإمام يطلب من الله كل ذلك من أجل غايةٍ هي : ـ « حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور » ، وعندما تخرق هذه الحجب : ـ « تصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك » ، وماذا بعد ذلك ؟! إنه « إلهي إجعلني ممن ناديته فصعق لجلالك » ما هو صعق الجلال هذا ؟! أليس هو ما يذكره القرآن

---

(١) مفاتيح الجنان (ص١٥٧) .

الكريم في شأن موسى (عليه السلام) ؟! فهل هو غير الفناء الذي يقوله العرفاء ؟!

« فصعق لجلالك » مرتبة يرتفع إليه مرتبةً مرتبةً ، أبصار القلوب تخرق جميع الحجب : ـ « فتصل إلى معدن العظمة » ، ما هو معدن العظمة الذي تصل إليه ؟! وما هو هذا الوصول ؟! أليس هو نفسه الوصول الذي يقوله أولئك ، « ومعدن العظمة » هل هو غير الحق تعالى ؟! هل يمكن لغيره تعالى أن يكون معدن العظمة الذي يجب أن تصدر منه كافة أشكال العظمة ؟! ، وعندما تصل إلى هذا المعدن : ـ « تصير أرواحنا معلقة بعزِّ قدسك » ، وهذا المعنى هو نفس ما يقوله أولئك ـ العرفاء ـ .

لو إلتفت الإنسان إلى كافة أطراف القضية لما أستطاع أنّ يعبّر عنها « بالعلة والمعلول » لضيق هذا التعبير ، ونفس الأمر يصدق على تعبير « الأثر والمؤثر » ، أما تعبير « الخالق والمخلوق » وهو أفضل من السابقَين على مذاق العامة ، لكنّ الأفضل هو تعبير التجلي « تجلي ربه للجبل » ، فهو الأقرب ـ الأقرب وحسب ـ إلى المعنى الذي لا يمكن التعبير عنه أصلاً .

* قضية تصورها أصعب من تصديقها

العلاقة ما بين الحق تعالى والخلق هي من القضايا التي يكون تصورها أصعب من التصدىق بها ، فتصديقها ممكن إذا تصورها الإنسان ولكن كيف نتصور موجوداً لا يغيب عن أي مكان ولا يغيب عنه مكان ؟! موجود في بواطن الأشياء وظواهرها وهي معلولة له أيضاً .

كيف نعبّر عن مثل هذا المؤثر الذي هو في باطن آثاره ـ الأشياء ـ وفي ظواهرها « لا يخلو منه شيء » ، وما هو التعبير الذي يؤدي حق هذا

المطلب ؟! لا يمكن التعبير عن ذلك إلا لأهله أولئك الذين يدعون بأمثال المناجاة الشعبانية سائلين الله ما سألوه .

وعلى ما تقدم يتضح أنه ليس هناك إختلاف يستوجب أن تنسب طائفة أخرى إلى الكفر وتنسب الثانية الأولى إلى الجهل ، أنتم أيضاً إذا أردتم أن تتحدثوا عن المعنى المتقدم فكيف تعبّرون عنه ؟! إفهموا ما يقوله أولئك ، إفهموا ما في قلب ذلك الإنسان الذي لا يستطيع أن يُعبّر عن ذلك المعنى إلا بمثل تلك التعبيرات ، فمرة يسطع في قلبه نورٌ بدرجةٍ يقول معها : ـ كلّ شيءٍ هو ، والجميع هو » .

* علي (ع) عين الله ونوره

توجد في أدعيتكم أيضاً تعبيرات من أمثال « علي عين الله ، نور الله ، ويدّ الله »[1] ، فماذا تعني هذه أليست هيّ من نظائر التعبيرات التي يستخدمها أولئك ؟! ونفس هذه التعبيرات واردة في الأحاديث الشريفة التي تصف الصدقة التي تضعها في يد الفقير إنما تصل إلى يد الله ، وفي القرآن أيضاً ورد قوله تعالى : ﴿ **وما رميت إذْ رميت ولكن الله رمى** ﴾ ، المعنى واحد وهو نفس ما تقولونه جميعاً ولكن ذلك المسكين الذي يلمس المعنى عياناً لا يستطيع أن يعبّر عنه بهذه الصورة وبالكيفية التي يراه بها ولذلك فهو يستخدم مثل تلك التعبيرات وهي كثيرة في القرآن وخاصة في الأدعية فهي مليئة بهذه التعبيرات التي يستخدمها أولئك ، فلماذا نسيء

---

(١) وردت في الزيارة الثالثة من زيارات الإمام علي (عليه السلام) وهي مروية عن الإمام الصادق (ع) : « . . . السلام عليك يا نور الله التام . . » (ص٣٥٢) من مفاتيح الجنان وجاء في الزيارة السادسة (ص٣٥٥) : ـ « السلام عليك يا عين الله الناظرة ويده الباسطة وأذنه الواعية وحكمته البالغة . . . » .

الظن بمن يستخدمها ؟! إسعوا إلى فهم المراد والدافع إلى إستخدامه مثل هذه التعبيرات ؟! ما هو الألم الذي إضطره إلى إستخدامها والإعراض عما يستخدمه عامة الناس ، وهو يعلم ماذا سيلقاه بسبب إستخدام مثل هـذه التعبيرات ، فلأجل أن لا يضحي بالحقيقة من أجل نفسه ضحى بنفسه من أجل الحقيقة ، ولو أننا فهمنا قوله ومراده لعبّرنا عنه بنفس ما عبر به ومثلما إستخدمه أيضاً القرآن والأئمة .

والأمر ليس هو على نحو يكون معه المراد من تعبير « هذا هو الحق » هو أن هذا هو الله واقعاً فما من عاقلٍ يقول ذلك ، ولكنكم ترون ظهوراً لا يمكن التعبير عنه بصورةٍ لا يكون معها إنفصال ، مثلما ورد في أحد الأدعية وصف الأولياء : ـ « لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك ، خلقها بيدك فتقها بيدك »[2] فهذا من باب ضيق التعبير ، وإختيار هذا التعبير من باب كونه الأقرب إلى المعنى ونفس الأمر يصدق على ما ورد في الكتاب والسنة .

لا تسيئوا الظن بالذين يستخدمون هذه التعبيرات ، وأي أشخاصٍ صالحين هم ، لقد عاصرنا عدداً منهم وعرفناهم عن قرب ورأينا حالهم وتبحرهم ودقة نظرهم في كل تلك العلوم ، ورأينا وصولهم إلى الكمال ، هؤلاء كانوا يستخدمون أيضاً مثل هـذه التعبيرات ، كالتجلي والظهور ، وتجليك . . .

وورد في دعاء السمات التعبير بـ« طلعتك »[1] ، والتجلي والنور ،

---

(١) ورد هذا المقطع ضمن أحد أدعية شهر رجب ، وهو مروي عن المهدي المنتظر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء ، راجع مفاتيح الجنان (ص١٣٤) .

(٢) مفاتيح الجنان (ص٧٣) .

ونور وجهك وبإسمك . . . ، وعليه فأصلحوا حال الذين يُسيئون الظن بهؤلاء العظام ، بالطبع أنا لا أريد تنزيه الجميع (فعندما أدافع عن الحوزويين وعلماء الدين لا أقصد أن جميعهم على نحو واحد وبمستوى واحد) إنّ ما أعترض عليه هو أن تُسقطوا الجميع وليس أني أطالبكم بتأييد الجميع ، وهنا أيضاً فما أريد قوله هو أن لا تتوهموا كفر كلّ مَنْ قال مطلباً عرفانياً أو نطق بكلمةٍ عرفانية .

* حققوا في المطلب أولاً .

انظروا أولاً إلى ما يقوله وما هو مرادُهُ ومقصوده منه ، فلا أعتقد أن من يفهم مقصوده سينكره عليه ، فهذه القضية هي كقضية قصة مثل « العنب وأنكور وأوزوم » ، فالأمر واحد أنتم تعبرون عنه بتعبير معين ، والآخر يحدث عنه ضمن مصطلح العلية والمعلولية والثالث بالسببية والمسببية والرابع بالظهور والمظهر .

حسناً نحن أيضاً بماذا نعبّر عن وجود موجودٍ في كل مكان وهو كل الأشياء ولكنه ليس بشيءٍ منها ؟! ترون الأحاديث الشريفة تقول : « علي يد الله علي عين الله »[1] ، والقرآن الكريم يقول : ـ ﴿ **وما رميت إذْ رميت ولكن الله رمى** ﴾[2] ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله** ﴾[3] ، و ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾[4] ، فهل الـ« فوق » هنا مكاني ؟! كلا بل هو « فوق » معنوي ، علو لا يمكن التعبير عنه ، ولا يمكننا التعبير عنه بما هو حق التعبير .

---

(١) تقدم ذكر مصدرها .

(٢) سورة الأنفال الآية١٧

(٣و٤) سورة الفتح الآية١٠ .

كما أنّ الله تبارك وتعالى أجلّ من أن يكون مختلطاً بشيءٍ أو مرتبطاً بشيءٍ وفق هذه المعاني ، بل وجلّ وتعالى عن أن نفهم كيفية تجليه وظهوره ، فحتى تجليه مجهول لدينا ، لكننا نؤمن بواقعية الأمر ولا ننكرها ، ونرجو أن نكون معتقدين بما ورد في القرآن والسنة عن هذه القضايا وعن تجلي الحق تعالى لخلقه وظهوره وكونه ﴿ **هو الظاهر والباطن** ﴾ ، كما ورد في سورة الحديد ، وقد ورد في الحديث الشريف أنّ الآيات الستة الأولى من سورة الحديد قد أُنزلت لرجالٍ يأتون في آخر الزمان هم الذين يفهمونها ، وفيها كيفية الخلق وأمثالها وفيها يقول : - ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ ، ﴿ **هو معكم أينما كنتم** ﴾[1] ، وحتى آخر الزمان هذا لن يشهد بتلك السرعة ظهور من يستطيع أن يفهمها ، فلعل شخصاً واحداً أو إثنان سيظهران في العالم يستطيعان فهمها .

* شمولية الإسلام وأصوله

إن ما أدعو له بالدرجة الأولى هو أن يرتفع سوء الفهم بشأن هذا الموضوع ويزول الإختلاف المدرسي بين أهل العلم ، وتزول العقبات عن طريق إنتشار المعارف ، فالإسلام لا ينحصر في الأحكام الفرعية ، فهذه فرعٌ والأصل شيء آخر ، ولا ينبغي أن نضحي بالأصل من أجل الفرع ، ونقول أن لا وجود للأصل أساساً أو نخترع أصلاً غير واقعي .

---

(١) « . . . سئل علي بن الحسين (عليهما السلام) عن التوحيد فقال : إنّ الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل - الله تعالى - ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله ﴿ **وهو عليم بذات الصدور** ﴾ فمن رام وراء ذلك فقد هلك »إصول الكافي (ج١ ، ص٩١) باب النسبة .

ينقل أحد السادة أن الشيخ محمد البهاري ـ على ما يبدو ـ قال عندما ذكر أحد الأشخاص ، « إنه عادلُ كافر » ، فقلنا : ـ كيف هو عادل وكيف هو كافر ؟! فأجاب : ـ « عادلُ لأنه يعمل وفق الموازيين الشرعية ولا يرتكب المعاصي ، لكنه كافر لأنّ الإله الذي يعبده ليس هو « الله » .

* كل موجود يرى كمال الله من نفسه

وقد ورد في رواياتنا أن النملة تتوهم أنّ لله زبانيتين[1] ، وهذا من حب النفس ويفهم أنه موجود في النملة أيضاً ، والنملة مخلوق عجيب حقاً ، وهي عندما تتصور أن لله زبانيتين فلكونها تعتبر أن إمتلاك زبانيتين كمالاً ـ على ما يبدو ـ ، ونحن أيضاً عندما نريد أن نعبّر عن كمالاته تعالى ننطلق مما نتصوره كمالاً عندنا .

هذه النملة تصف سليمان وجنوده بأنهم لا يشعرون : ـ **﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، فتبسم ضاحكاً من قولها ﴾**[2] ضحك من أن تقولُ له ذلك ، وقول النملة هذا موجودٌ في كل مكان ينطق به كل شيء ـ قال مثله الهدهد أيضاً **﴿ أحطت بما لم تحط به ﴾**[3] ، والخطاب هنا هو لسليمان النبي الذي

---

(١) « . . . وفي كلام الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) إشارةُ إلى هذا المعنى حيث قال : « كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم مردود إليكم ، ولعل النمل الصغار تتوهم أن لله تعالى زُبانيتين ، فإن ذلك كمالها وتتوهم أن عدمها نقصانٌ لمن لا يتصف بهما وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به» انتهى كلامه (صلوات الله عليه . . . » كتاب التوحيد العلمي والعيني (ص٢٥٢-٢٥٣) نقلاً عن كتاب « الأربعين » للشيخ البهائي .

(٣) سورة النمل الآية ١٨-١٩ .

(٤) سورة النمل الآية٢٢ .

جلب أحد أصحابه وجلساؤه عرش بلقيس : ﴿ **قبل أن يرتد إليك طرفك** ﴾[1] ولم يحدث مثل هذا للإنسان حتى الآن ، فكيف جلبه وماذا كانت حقيقة الأمر ؟! هل كانت إتصالاً أم إعداماً وإيجاداً أم تحويلاً للعرش إلى موجات كهربائية ثم إيصاله وإعادته إلى ما كان عليه ؟! نبي الله سليمان كان أحد أصحابه يعرف حرفاً من الإسم الأعظم ـ كما ورد في الروايات ـ[2] وهو يأتي له بالعرش ﴿ **قبل أن يرتد إليك طرفك** ﴾ ، ويخاطبه الهدهد : ﴿ **أحطتُ بما لم تحط به** ﴾ وسليمان (عليه السلام) لا يعترض فهو كان يجيب على قدر فهمهم ويتعامل معهم وفق ذلك .

* الحرمان من الحقائق المعرفية ظلم

إن الذي أريد قوله هو أن من الظلم أن تبقى طائفةٌ من أهل العلم الصالحين الطيبين محرومةً من هذه الحقائق ومعارفها .

عندما جئنا إلى قم كان فيها المرحوم الميرزا علي اكبر الحكيم (رحمه الله) ، وعندما تأسست الحوزة العلمية في قم ، قال أحد « المقدسين »ـ توفي أيضاً ـ (رحمه الله) : ـ « انظروا إلى أين وصل

---

(١) سورة النمل الآية ٤٠ .

(٢) جابر الجعفي عن الباقر (ع) قال : « إن إسم الله الأعظم على ثلاثةٍ وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ، وعندنا نحن من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف واحد عند الله تبارك وتعالى إستأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » راجع الكافي للكليني (ج١ ، ص٢٣٠) وهناك طرق أخرى عديدة للحديث المتقدم كما وردت أحاديث أخرى بمعناه في الكافي وغيره .

الإسلام بحيث فتحت حتى باب منزل الميرزا علي اكبر ؟!

العلمـاء كـانـوا يـذهبـون للدراسـة عنـده أمثـال السـادة المـرحـوم الخوانساري والمرحوم الإشراقي ورغم ذلك يقول الرجل : ـ « انظروا إلى أين وصل الإسلام بحيث فُتحت بـاب منزل الميـرزا علي أكبر أيضـاً » ، يقولون بشأن الميرزا مثل هذا القول رغم أنه كان صالحـاً للغايـة ، ولكنّ قائلهم صعد المنبر بعد وفاة الميرزا علي أكبر وقال إنه شاهده بنفسه يقـرأ القرآن!! ، وقد تأذى المرحوم الشاه آيادي من هذا القول .

من الظلم أن تُحرم حوزةُ علمية من بركات وخيـرات موجـودة ، أن تُحرم حتى من الفلسفة وهي علمُ عادي فضلاً عن غيرها ، والمهم هو عدم وصـول مَن فيهـا إلى حقيقـة المـطلب ، وهـذا مـا دفعني إلى الحـديث المتقدم ، فلو أدركوا حقيقة الأمر لما كان هناك نزاع ولما كان هناك تكفير لمن يستخدم تلك التعبيرات ، فلو أدركوا ما يقول لما أنكروا فهم لا يدرون ما الذي يقوله ، ولذلك ينكرون وهذا هو إبتلاءه فتعبيره « كفريٌ »!! وهو يرى أنّ التعبير بالعلية والمعلولية لا يعبّر عن حقيقة الأمر .

وما قلته بضع مرات خلال الأيام الماضية من أن الاسم غير مستقل عن المسمى ، فهو لكون أنّ الإسم ظهورٌ وعلامة ولكن ليس كالعـلامات التي توضع لفراسخ المسافات ، فلا يمكن التعبير عنـه بأنـه علامـة ، بل « الآية » كمفردةٍ أقـرب للواقع ، وهـذه هي أيضاً تعبيـر يستخدمُ لـ« ضيق الخناق » .

القرآن أيضاً جاء وفق ذلك ، وكما قلتُ سابقاً فهو مثل المائدة التي يجب أن ينتفع كل إنسانٍ بما فيها قدر سعته ، وهي ليست حكراً على فئةٍ خاصة ، بل هي للجميع وعلى الجميع أن ينتفعوا منها كلٌّ على سعتـه ،

وكذلك الحال مع أدعية الأئمة (عليهم السلام) ففيها كنوزٌ من المعارف ، ولكن مع ذلك فهم يقومون بفصل الناس عنها .

* الدعاء يفسّر القرآن

الأدعية مليئة بالمعارف وهي لسان القرآن ومفسرة القرآن بخصوص القضايا التي لا يصلها الآخرون .

لا ينبغي عـزل الناس عن الأدعيـة ، ولا ينبغي القول بـأننا مـا دمنا وصلنا إلى القرآن ونريد تلاوته فلا حاجة للدعاء ، كـلا ، يجب أن يأنس الناس بالدعاء فبذلك يصلون إلى الأنس بالله .

أولئك الذين يأنسون بـالله المتحررون من أسـر الدنيـا ، والذين لا يـرون لأنفسهم قيمة ، العـاملون لله ، ومنهم المقـاتلون في سبيـل الله ، هؤلاء هم قراء الأدعية ، لهم تلك الحالات وهم يقاتلون في سبيـل الله ، فلا ينبغي عزل الناس عن هذه البركات ، القـرآن والدعـاء ليسا منفصلين مثلما أن النبي ليس منعزلاً عن القرآن .

لا ينبغي لنا القول بأنّ لدينا القرآن فلا حاجة لنا بالنبي ، الأمر واحد وهمـا معاً و« لن يفتـرقا حتى يـردا عليّ الحوض »[1] ، فـلا إفتراق ، ولا ينبغي أن نفصل بينهما ، فنأخذ القرآن بمعزلٍ عن الأئمة والأئمة بمعـزل عنه ، والأدعية بمعزل عنه ، ونقول لا حاجة لنا بالأدعية فلنحـرق كتبها أو مثلاً لنحرق كتب العرفاء ، فمثل هذا الموقف ناشىءٌ من كون أصحابه لا يعلمون ما الأمر ، مساكين ، والإنسان إذا تجاوز حدَّهُ سقط في الخطأ .

---

(١) ذيل حديث الثقلين الشهير .

* عاقبة الغرور

« كسروي » كان مؤرخاً ، معلوماتُهُ التأريخية كانت جيدة ، بيانُهُ كان جيداً ولكنه سقط في الغـرور حتى وصل بـه الحال أن قـال : ـ « أنا نبيٌّ أيضاً » أعرض عن الأدعية كافة وقبل القرآن ، أنزل النبوة حتى أوصلها إلى مستواه لم يستطع الإرتفاع إليها فأنزلها إلى مستواه .

الأدعية والقرآن وأولئك ليسوا منعزلين عن بعضهم البعض ، كما أن العرفاء والشعراء العرفانيون والفلاسفة جميعهم يتحَدثون عن حقيقةٍ واحدة والذي يختلف هو أشكال التعبير ، فللشعر لغته الخاصة ، و« حافظ » نفسه له لغته الخاصة ، يتحدث عن نفس تلك الحقائق ويقول ما يقـوله أولئـك ولكن بلغةٍ أخرى ، أشكال التعبير هي التي تختلف فلا ينبغي إبعاد الناس عن هذه البركات ، بل يجب عليهم أن ينتفعـوا من هذه المـائدة الإلهيـة الكبيرة العامرة التي تشمل القرآن والسنة والأدعية ، فقد دعى الله الجميع للإنتفاع منها كلٌّ على سعته .

* مقدمة . . ولكن وا أسفاً

كانت هذه مقدمة للمواضيع التي ستأتي تباعاً لو كان لنا عمر ، فإذا إستخـدمنا أحيـاناً مثـل أشكال التعبيـر تلك فلا تقـولوا أنـك أعدت هـذه التعبيرات مرةً أخرى إلى الساحة ، كلا ولا ، يجب أن تعود هذه التعبيرات مرةً أخرى .

إنني قلتُ للمرحوم الشيـخ الشاه آبـادي (رحمه الله) وكـان يحدّث عدداً من الكسبة عن هذه القضايا مثلما كـان يحدث بهـا الجميع ، قلتُ له : ـ أين هؤلاء من هذه القضايا ؟! فأجاب : ـ « دعْ هذه الكفريات تطرق أسماع هؤلاء أيضاً!! » .

نعم . . كان لدينا مثل هذه الشخصيات ، فاذا لم تنسجم مع ذوقي فلا ينبغي الإنكار والقول : ـ ما هذه ؟! وفلان وفـلان!! ، هذه المـواقف خاطئة .

والحديث الآن هو في « الرحمن والرحيم » الموجودين في البسملة وفي ﴿ **الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم** ﴾ ، فهل هما في البسملة صفات للإسم أم « لله » ؟ هناك إحتمالان سنـرى فيما بعـد إن شاء الله ، أيهما أقرب للفهم والسلام .

نهاية الدرس الخامس من دروس التفسير المعرفية التي ألقاها الإمام الخميني ـ خلّد الله نهجه ـ .



الفهرس